الدرس السابع عشر:
الركن الثالث من أركان الإسلام إيتاء الزكاة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع الصحابي الجليل سعيد بن عامر، فعن حسان بن عطية قال: لما عزل عمر بن الخطاب معاوية ابن أبي سفيان عن الشام، بعث سعيد بن عامر قال: فخرج معه بجارية من قريش نضيرة الوجه، قال: فما لبث إلا يسيرا حتى أصابته حاجة شديدة قال: فبلغ ذلك عمر فبعث إليه بألف دينار قال: فدخل بها على امرأته فقال: إن عمر بعث إلينا بما ترين فقالت: لو أنك اشتريت أدما وطعاما وادخرت سائرها، فقال لها: أو لا أدلك على أفضل من ذلك نعطي هذا المال من يتجر لنا فيه فنأكل من ربحها وضمانها عليه، قالت: فنعم إذا، فاشترى أدما وطعاما واشترى غلامين وبعيرين يمتاران عليهما حوائجهم وفرقها على المساكين وأهل الحاجة، قال: فما لبث إلا يسيرا حتى قالت له امرأته: إنه قد نفد كذا وكذا فلو أتيت ذلك الرجل فأخذت لنا من الربح فاشتريت لنا مكانه قال: فسكت عنها ثم عاودته فسكت عنها حتى آذته ولم يدخل بيته إلا من ليل إلى ليل، قال: وكان رجل من أهل بيته ممن يدخل بدخوله فقال لها: ما تصنعين إنك قد آذيته، وإنه قد تصدق بذلك؟ قال: فبكت أسفًا على ذلك المال، قال: ثم إنه دخل عليها يوما فقال: على رسلك، إنه كان لي أصحاب فارقوني منذ قريب ما أحب أني صددت عنهم، وإن لي الدنيا وما فيها، ولو أن خيِّرة من خيرات الجنان اطلعت من السماء لأضاءت لأهل الارض، ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر ولنصيف تكسى خير من الدنيا وما فيها. فلأنت في نفسي أحرى أن أدعك لهن من أن أدعهن لك قال فسمحت ورضيت (٣٧).

ولقد حثنا الله تعالى على التعجيل بإخراج الزكاة المفروضة قبل

مجيء يوم القيامة قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [البقرة:٢٥٤].

أخي الحبيب، زكاة المال هى حق الفقراء في المال ويختلف قيمتها باختلاف نوع المال وقيمة المال، فقيمتها خمسة وعشرون لكل ألف للذهب والفضة والتجارة، وقيمتها عشر المحصول إذا كانت الأرض تروى بماء المطر بدون مجهود، ونصف العشر إذ كانت الأرض تروى بماء الترع أي بمجهود، في حين أن زكاة المال في حالة الغنم والبقر والإبل، يمكن معرفة تفصيلها من كتب الفقه، ومصارف زكاة المال ثمانية مصارف ذكرت في هذه الآية قال تعالى:{إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [التوبة:٦٠].

المعنى: ولزكاة المال ثمانية مصارف من هذه الآية: فهي للمحتاجين الذين لا يملكون شيئًا، وللمساكين الذين لا يملكون كفايتهم، وللسعاة الذين يجمعونها، وللذين تؤلّفون قلوبهم بها ممن يُرْجَى إسلامه أو قوة إيمانه أو نفعه للمسلمين، أو تدفعون بها شرَّ أحد عن المسلمين، وتعطى في عتق رقاب الأرقاء والمكاتبين، وتعطى للغارمين لإصلاح ذات البين، ولمن أثقلَتْهم الديون في غير فساد ولا تبذير فأعسروا، وللغزاة في سبيل الله، وللمسافر الذي انقطعت به النفقة.

إخوتي في الله، من أخرج زكاة المال طيبة بها النفس ذاق طعم الإيمان، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْغَاضِرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ: مَنْ عَبَدَ اللهَ وَحْدَهُ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ رَافِدَةً عَلَيْهِ كُلَّ عَامٍ وَلَا يُعْطِي الْهَرِمَةَ - أي الكبيرة - وَلَا الدَّرِنَةَ - أي المريضة بالدرن - وَلَا الْمَرِيضَةَ وَلَا الشَّرَطَ اللَّئِيمَةَ، وَلَكِنْ مِنْ وَسَطِ أَمْوَالِكُمْ فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَسْأَلْكُمْ خَيْرَهُ وَلَمْ يَأْمُرْكُمْ بِشَرِّهِ» [1].

أمَّا الصدقات فليس لها حد معين فبعض الصالحين يخرج عشر

(١) (صحيح) أخرجه (د)، وصححه الألباني في ص.ج ٣٠٤١.

المكسب في العام والبعض يخرج عشري المكسب في العام والبعض يخرج مبالغ غير محددة، على كل حال الصدقات تنمي المال وتباركه في الدنيا علاوة على الجزاء الكبير في الآخرة، وللإنفاق في سبيل الله والصدقات مزايا وفضائل وفوائد كثيرة نذكر منها:

أولاً: أنها تطفئ غضب الله سبحانه وتعالى كما في قول رسول الله ﷺ: «إِنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِئ غَضَبَ الرَّبِّ» (١).

ثانياً: أنها تمحو الخطيئة، وتذهب نارها كما قال رسول الله ﷺ: «وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ» (٢).

ثالثاً: أنها وقاية من النار قال النبي ﷺ: «فَاتَّقُوا النَّارَ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» (٣).

رابعاً: أن المتصدق في ظل صدقته يوم القيامة فقد ذكر النبيَّ ﷺ أنَّ من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ» (٤).

خامساً: أن في الصدقة دواء للأمراض البدنية، كما في قوله ﷺ: «وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ» (٥).

سادسا: أن الله يدفع بالصدقة أنواعاً من البلاء فَعَنْ الْحَارِثَ الأَشْعَرِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا.. فَقَالَ - مما قاله -: إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ: وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ، فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: أَنَا أَفْدِيهِ مِنْكُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ فَفَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ» (٦).

---

(١) (صحيح) أخرجه (طب)، وصححه الألباني في صت ١٩٠٨.
(٢) (صحيح لغيره) أخرجه (ت)، وصححه الألباني في صت ٩٨٣.
(٣) (صحيح) أخرجه (خ) ٧٠٧٤، و(م) ١٠١٦.
(٤) (صحيح) أخرجه (خ) ٦٤٢١.
(٥) (صحيح)، وحسنه الألباني في ص.ج ٣٣٥٨.
(٦) (صحيح) أخرجه (ت)، وصححه الألباني في صت ٨٧٧.

سابعا: أن العبد إنما يصل إلى حقيقة البر بالصدقة كما جاء في قوله تعالى: {لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: ٩٢].

ثامنا: أن الله يضاعف للمتصدق أجره كما في قوله ﷻ: {إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ} [الحديد: ١٨].

تاسعا: البركة والنماء لماله في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة، قال تعالى: {مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١)} [البقرة: ٢٦١].

عاشرا: أن المنفق يدعو له المَلَك كل يوم بخلاف الممسك وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللهمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللهمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»[(١)].

حادي عشر: أن صاحب الصدقة يبارك له في ماله كما أخبر النبي عن ذلك بقوله: «مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ»[(٢)].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ١٣٧٤، و(م) ١٠١٠.

(٢) (صحيح لغيره) أخرجه (حم ت)، وصححه الألباني في صت ٢٤٦٣.

الدرس الثامن عشر

الركن الرابع من أركان الإسلام صوم رمضان

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع الصحابي الجليل أبي أمامة الباهلي في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: أَنْشَأَ رَسُولُ الله ﷺ غَزْوَةً فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، ادْعُ الله لِي بِالشَّهَادَةِ فَقَالَ: «اللهمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ»قَالَ: فَسَلِمْنَا وَغَنِمْنَا قَالَ: ثُمَّ أَنْشَأَ رَسُولُ الله ﷺ غَزْوًا ثَانِيًا فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، ادْعُ الله لِي بِالشَّهَادَةِ، فَقَالَ: «اللهمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ» قَالَ: ثُمَّ أَنْشَأَ غَزْوًا ثَالِثًا، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أَتَيْتُكَ مَرَّتَيْنِ قَبْلَ مَرَّتِي هَذِهِ، فَسَأَلْتُكَ أَنْ تَدْعُوَ الله لِي بِالشَّهَادَةِ فَدَعَوْتَ الله ♣ أَنْ يُسَلِّمَنَا وَيُغَنِّمَنَا، فَسَلِمْنَا وَغَنِمْنَا يَا رَسُولَ الله، فَادْعُ الله لِي بِالشَّهَادَةِ فَقَالَ: «اللهمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ» قَالَ: فَسَلِمْنَا وَغَنِمْنَا، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله مُرْنِي بِعَمَلٍ قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ» قَالَ: فَمَا رُئِيَ أَبُو أُمَامَةَ وَلاَ امْرَأَتُهُ وَلاَ خَادِمُهُ إِلاَّ صُيَّامًا، قَالَ: فَكَانَ إِذَا رُئِيَ فِي دَارِهِمْ دُخَانٌ بِالنَّهَارِ قِيلَ: اعْتَرَاهُمْ ضَيْفٌ نَزَلَ بِهِمْ نَازِلٌ، قَالَ: فَلَبِثَ بِذَلِكَ مَا شَاءَ الله، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَمَرْتَنَا بِالصِّيَامِ فَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ بَارَكَ الله لَنَا فِيهِ رَسُولَ الله، فَمُرْنِي بِعَمَلٍ آخَرَ قَالَ: «اعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تَسْجُدَ لله سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَ الله لَكَ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً»[1].

أخي الحبيب، صيام شهر رمضان أحد أركان الإسلام، ولقد فرض الله ♣ صيام رمضان على أمة الإسلام في العام الثاني من الهجرة، فصام رسول الله ﷺ تسعة رمضانات، والصيام عبادة قديمة تَعبَّد الله بها من كان قبلنا من الأمم قال تعالى مخاطباً عباده المؤمنين، السامعين المستجيبين،

(١) (إسناده صحيح) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات.

المنقادين لشرع الله:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(١٨٣) أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤)} [البقرة:١٨٣، ١٨٤].

المعنى: فلقد فرض الله عليكم الصيام كما فرضه على الأمم قبلكم؛ لعلكم تتقون ربكم، وفرض الله عليكم صيام أيام معلومة العدد وهي أيام شهر رمضان. فمن كان منكم مريضًا يشق عليه الصوم، أو مسافرًا فله أن يفطر، وعليه صيام عدد من أيام أُخَر بقدر التي أفطر فيها. وعلى الذين يتكلفون الصيام ويشقُّ عليهم مشقة غير محتملة كالشيخ الكبير، والمريض الذي لا يُرْجَى شفاؤه، فدية عن كل يوم يفطره، وهي طعام مسكين، فمن زاد في قدر الفدية تبرعًا منه فهو خير له، وصيامكم خير لكم مع تحمُّل المشقة من إعطاء الفدية، إن كنتم تعلمون الفضل العظيم للصوم عند الله تعالى.

ولكن لأمة محمد ﷺ في هذا الشهر المزيد من الفضل والخصوصية فهو شهر كريم فيه فضائل كثيرة لم تتوفر لغيرنا من الأمم، يقول الله تعالى{يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [البقرة:١٠٥]، لما فيه من الثواب الجزيل، ومضاعفة الحسنات، وتكفير للخطايا، ومحو للسيئات، والدعاء المستجاب والعمل المقبول بإذن الله، ويبين الله تعالى حكمته من فرض صيام رمضان على أمة الإسلام قوله:{لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} أي أنكم تنالون بالصيام التقوى، ويتحقق لكم بصيامكم رمضان تقوى الله جل وعلا، وذلك بأن المسلم يتعبّد لله بترك الطعام والشراب، والنساء، وتلك من الأمور المحببة إليه، المغروس حبّها في نفسه، يتركها طاعة لله، وعبادةً يتقرب بها إلى الله، مع ميل النفس وحبها لها، فيحصل الخضوع والطاعة لرب العالمين.

إخوتي في الله، من رحمة الله تعالى أنه نَوَّعَ لنا العبادات، فقد شرع الله لنا عبادات متنوعة، وحكمته جل وعلا في تنوع العبادات: زيادة الإيمان، قال تعالى:{لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ} [الفتح:٤]، ومضاعفة الأجور

وتقوية الرغبة في الخير.

والصائم يتعبد بالصيام لله فيما بينه وبين الله، يعلم أن الله يرضى منه ترك الشهوات، فيدعها طاعةً لربه، ويعلم أن الله مراقب عليه، وعالم بسره وعلانيته، قال تعالى: {الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [الشعراء:٢١٨ - ٢٢٠]، فيمتنع عن الإتيان بناقض من نواقض الصيام؛ لأنه على يقين من مراقبة الله له وعلمه بسره وعلانيته.

والنعم لا تعرف إلا بفقدها، فالصائم عندما يشتد به الظمأ، ويؤلمه الجوع، فيعرف عند ذلك قدر نعم الله، فيزداد شكراً لله، بما متّعه بهذه النعم في كل عامِه، ويتذكر الفقراء، فيواسيهم ويتصدق عليهم.

قال فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين عن المفطرات:

١ - الأكل والشرب: وأما الإبر غير المغذية مثل إبر البنسلين فهذه لا تفطر والأحوط للإنسان تركها في الصيام، لقول رسول الله ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ» (١).

٢ - الجماع: وهو من كبائر الذنوب للصائم في نهار رمضان، وفيه الكفارة المغلظة: عتق رقبة، فإن لم يجد رقبة فإنه يصوم شهرين متتابعين فإن لم يستطع يطعم ستين مسكيناً.

٣ - الإنزال: أي إنزال المني بفعل الصائم، مثل أن يقبّل زوجته فيمني فإنه يفسد صومه، وأما إذا كان الإنزال بغير فعله مثل أن يحتلم: فصيامه لا يبطل.

٤ - الحجامة: فيفطر الحاجم والمحجوم لحديث رافع بن خديج أن النبي ﷺ قال: «أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ» (٢)، فأما خروج الدم بالجرح، أو قلع الضرس، أو الرعاف أو نحوه فلا يفطر الصائم.

٥ - القيء: إذا استقاء فقاء، فأما إن غلبه القيء بغير اختياره فإنه لا يفطر.

---

(١) (صحيح) أخرجه (ن) وصححه الألباني في ص.ج ٣٣٧٧.
(٢) (صحيح) أخرجه (د) ٢٣٦١ وصححه الألباني.

ويجوز للصائم أن يتطيب بما شاء من الطيب، ولا يفطر بذلك، وأيضاً أن يداوي عينه بما شاء من قطور، ولا يفطر بذلك.

ولشهر رمضان خصائص عظيمة، تفضل الله بها علينا، نذكر منها:

١ - أن صيامه وقيامه يكون سبباً لإدراك ليلة القدر التى هي خير من ألف شهر من العبادة، وأيضا سببا لمغفرة الذنوب أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (١)، وَقَالَ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (٢).

٢ - تفتح أبواب الجنة الثمانية، وتغلق أبواب النيران وينادي منادٍ يا بَاغِيَ الخَيْر أقبل، ويا باغي الشر أدبر، ولله عتقاء في هذا الشهر الكريم، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ: صُفِّدَتْ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلله عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ كُلَ لَيْلَةٍ» (٣)

٣ - من فطر صائمًا كان له من الأجر مثل أجر الصائم ولا ينقص ذلك من أجر الصائم، فَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا» (٤).

ولقد حثنا رسول الله ﷺ بتناول وجبة السحور وتعجيل الفطر وأن نفطر على تمرات، وأيضا حذرنا من قول الزور والعمل به.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (صحيح) أخرجه (خ)١٨٠٢، و(م)٧٦٠.
(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٧، و(م) ٧٥٩.
(٣) (صحيح) أخرجه (ت) وصححه الألباني في ص.ج ٧٥٩.
(٤) (صحيح) أخرجه (ت ن ه خزيمة حب) وصححه الألباني في صت ١٠٧٨.

الدرس التاسع عشر

الركن الخامس من أركان الإسلام حج البيت من إستطاع إليه سبيلا

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع العالم الزاهد عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى، فعن محمد بن علي بن الحسن بن شقيق قال: سمعت أبي يقول كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج، اجتمع إليه إخوانه من أهل مَرْو فيقولون: نصحبك يا أبا عبد الرحمن، فيقول لهم: هاتوا نفقاتكم فيأخذ نفقاتهم فيجعلها في صندوق ويقفل عليها ثم يكتري لهم - أي يوفر لهم المركوب - ويخرجهم من مرو إلى بغداد، فلا يزال ينفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام وأطيب الحلواء، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زي وأكمل مروءة، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول ﷺ، فإذا صاروا إلى المدينة قال: لكل رجل منهم ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة من طرفها؟ فيقول: كذا، ثم يخرجهم إلى مكة فإذا وصلوا إلى مكة فقضوا حوائجهم قال لكل رجل منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول كذا وكذا فيشتري لهم، ويخرجهم من مكة فلا يزال ينفق عليهم حتى يصيروا إلى مرو، فإذا وصلوا إلى مرو جصص أبوابهم ودورهم، فإذا كان بعد ثلاثة أيام صنع لهم وليمة وكساهم فإذا أكلوا وشربوا دعا بالصندوق ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صرته بعد أن كتب عليها (٣٧). وقد أوجب الله على المستطيع من الناس في أي مكان قَصْدَ هذا البيت لأداء مناسك الحج، ومن جحد فريضة الحج فقد كفر، والله غني عنه وعن حجِّه وعمله، وعن سائر خَلْقه، فقال: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ(٩٧)} [آل عمران:٩٧]، وقد روى سعيد بن منصور في سننه بسندٍ صحيح كما يقول السيوطي في الدر المنثور عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: لقد

هممتُ أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار، فينظروا كل من كان له جِدَةٌ - أي يملك نفقة الحج - ولم يحج، فليضربوا عليهم الجزية، ما هم بمسلمين.. ما هم بمسلمين.

أما من كان ينوي الحج، ولكنه يؤخر، ويسوِّف، ويقول: أحج العام، أحج بعد العام، حتى جاءه الأجل، وهو لم يحج، فليس داخلاً في هذا، وإن كان الحزم أن يعجل الإنسان بالحج؛ فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ الْفَضْلِ أَوْ أَحَدِهِمَا عَنْ الآخَرِ رضي الله عنهم قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ، فَإِنَّهُ قَدْ يَمْرَضُ الْمَرِيضُ، وَتَضِلُّ الضَّالَّةُ وَتَعْرِضُ الْحَاجَةُ» (١).

أخي الحبيب، هناك بعض الأوامر التي أمرنا الله تعالى بها في الحج في قوله تعالى: {وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لله فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُواْ الله وَاعْلَمُواْ أَنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ} [البقرة:١٩٦].

والمعنى: أدُّوا الحج والعمرة تامَّيْنِ خالصين لوجه الله تعالى، فإن منعكم عن الذهاب لإتمامهما بعد الإحرام بهما مانع كالعدو والمرض، فالواجب عليكم ذَبْحُ ما تيسر لكم من الإبل أو البقر أو الغنم تقربًا إلى الله تعالى؛ لكي تَخْرُجوا من إحرامكم بحلق شعر الرأس أو تقصيره، ولا تحلقوا رؤوسكم إذا كنتم محصرين، حتى ينحر المحصر هديه في الموضع الذي حُصر فيه ثم يحل من إحرامه، كما نحر النبي ﷺ في " الحديبية " ثم حلق رأسه، وغير المحصر لا ينحر الهدي إلا في الحرم، الذي هو محله في يوم العيد، اليوم العاشر وما بعده من أيام التشريق. فمن كان منكم مريضًا، أو به أذى من رأسه يحتاج معه إلى الحلق - وهو مُحْرِم - حَلَق، وعليه فدية: بأن يصوم ثلاثة أيام، أو يتصدق على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام، أو يذبح شاة لفقراء الحرم.

(١) (حسن) أخرجه (حم هـ) وحسنه الألباني في ص.ج ٦٠٠٤.

فإذا كنتم في أمن وصحَّة: فمن استمتع بالعمرة إلى الحج وذلك باستباحة ما حُرِّم عليه بسبب الإحرام بعد انتهاء عمرته، فعليه ذبح ما تيسر من الهدي، فمن لم يجد هَدْيًا يذبحه فعليه صيام ثلاثة أيام في أشهر الحج، وسبعة إذا فرغتم من أعمال الحج، ورجعتم إلى أهليكم، تلك عشرة كاملة لا بد من صيامها. ذلك الهَدْيُ وما ترتب عليه من الصيام لمن لم يكن أهله من ساكني أرض الحرم، وخافوا الله تعالى وحافظوا على امتثال أوامره واجتناب نواهيه، واعلموا أن الله شديد العقاب لمن خالف أمره.

ومنهيات الحج بينها الله تعالى فقال تعالى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [المائدة:٢].

والمعنى: يا أيها الذين آمنوا، لا تتعدَّوا حدود الله ومعالمه، ولا تستحِلُّوا القتال في الأشهر الحرم، وهي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، وكان ذلك في صدر الإسلام، ولا تستحِلُّوا حرمة الهَدْي، ولا ما قُلِّدَ منه؛ إذ كانوا يضعون القلائد، وهي ضفائر من صوف أو وَبَر في الرقاب علامةً على أن البهيمة هَدْيٌ وأن الرجل يريد الحج، ولا تَسْتَحِلُّوا قتال قاصدي البيت الحرام الذين يبتغون من فضل الله ما يصلح معايشهم ويرضي ربهم. وإذا حللتم من إحرامكم حلَّ لكم الصيد، ولا يحمِلَنَّكم بُغْض قوم من أجل أن منعوكم من الوصول إلى المسجد الحرام - كما حدث عام " الحديبية " - على ترك العدل فيهم. وتعاونوا - أيها المؤمنون فيما بينكم - على فِعْل الخير، وتقوى الله، ولا تعاونوا على ما فيه إثم ومعصية وتجاوز لحدود الله، واحذروا مخالفة أمر الله فإنه شديد العقاب.

وللحج مواقيت زمانية - كما ذكر كثير من أهل العلم - هي: شوال، وذو القعدة وعشر من شهر ذي الحجة، وهي المدة الزمنية التي إذا أدى المسلم فيها العمرة بنية التمتع، ثم حج من العام نفسه أصبح متمتعًا.

أما المواقيت المكانية للحج والعمرة فهي الخمسة المعروفة: ذو الحُلَيْفَة وقرن المنازل ويَلَمْلَم والجحفة وذات عرق فلا يجوز تجاوزها

لمن أراد حجًا أو عمرة، فإن تجاوزها فعليه الرجوع، فإن أحرم بعد تجاوزها صح إحرامه وعليه دم يجبر النقص الذي حصل بترك الواجب.

إخوتي في الله، للحج آداب وواجبات فمن آداب الحج تحقيق قول الله تعالى:{فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ (١٩٧)} [البقرة:١٩٧]، والرفث يطلق على الجماع، ويطلق على الفحش من القول والفعل، والفسوق هي المعاصي كلها، أما الجدال فهو المخاصمة بالباطل، ولعلنا نتساءل ما أركان وواجبات الحج والعمرة؟

فأركان الحج هي: الإحرام بلبس ملابس الإحرام من الميقات، والوقوف بعرفة بعد فجر يوم التاسع من شهر ذى الحجة، وطواف الافاضة بعد العودة من المزدلفة إلى منى يوم العاشر، والسعي بين الصفا والمروة.

وواجبات الحج: الإحرام من الميقات، والوقوف بعرفة إلى غروب شمس يوم التاسع من شهر ذى الحجة، والمبيت بالمزدلفة بعد الخروج من عرفة، والمبيت ليالى التشريق الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من شهر ذي الحجة بمني،ورمي الجمار جمرة العقبة يوم النحر (٧ حصوات على العقبة الكبرى يوم العاشر من ذى الحجة) والجمار الثلاث أيام التشريق بمنى(سبع حصوات على العقبة الصغرى ثم الوسطى ثم الكبري)،والحلق والتقصير يوم النحر، ونحر الهدى للمتمتع والقارن، والمتمتع الذى قام بعمرة ثم تحلل من العمرة ثم أحرم مرة ثانية بالحج يوم التروية أى الثامن من شهر ذى الحجة، والقارن هو الذى قرن الحج بالعمرة بإحرم واحد، والمفرد الذى نوى الحج فقط، ثم طواف الوداع.

وأركان العمرة: الإحرام والطواف حول الكعبة والسعي بين الصفا والمروة.

وواجبات العمرة: الإحرام من الميقات، والحلق والتقصير.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس العشرون:
التمسك بشريعة الإسلام والحذر من الارتداد

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة ذكرت في كتاب الداء والدواء للشيخ محمد الهبدان عن سوء خاتمة مؤذن تنصر ليتزوج امرأة نصرانية، قال عبد الحق الإشبيلي رحمه الله: ويروى أنه كان بمصر رجلٌ يلزم مسجداً للأذان والصلاة، وعليه بهاء الطاعة ونور العبادة فَرَقِيَ يوماً المنارة على عادته للأذان، وكان تحت المنارة دارٌ لنصراني فاطَّلع فيها، فرأى ابنة صاحب الدار، فافْتُتِنَ بها، فترك الأذان، ونزل إليها، ودخل الدار عليها، فقالت له: ما شأنك؟! وما تريد؟! قال: أريدك! قالت: لماذا؟ قال: قد سلبت لُبّي وأخذتِ بمجامع قلبي. قالت: لا أجيبك إلى ريبة أبدا. قال: أتزوجُك.قالت: أنت مسلم وأنا نصرانية،وأبي لا يزوجني منك، قال: أتنصر. قالت: إن فعلت أفعلُ، فتنصَّر الرجل ليتزوجها، وأقام معهم في الدار، فلما كان في أثناء ذلك اليوم؛ رَقِيَ إلى سطحٍ كان في الدار، فسقط منه، فمات، فلم يظفر بها، وفاته دينه.

إخوتي في الله، لقد أمر الله عباده المؤمنين، بأن يدخلوا في جميع شرائع الإسلام وأن يعملوا بجميع أحكامه، بدون أن يتركوا شيئًا منها، ولا يتتبعوا طرق الشيطان فيما يدعوهم إليه من المعاصي، لأنه لهم عدو ظاهر العداوة قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٠٨)} [البقرة:٢٠٨].

والله جل وعلا أمر عباده المؤمنين كذلك بأن يخافوه حق الخوف وذلك بأن يطاع فلا يُعصى، ويُشكَر فلا يكفر، ويُذكَر فلا ينسى، مع المداومة على التمسك بإسلامهم إلى آخر حياتهم قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢)} [آل

عمران:١٠٢].

والله جل وعلا حذر عباده المؤمنين من أن يرتدوا عن الإسلام وذلك برد أو إنكار أى آية أو قول أو فعل أو إقرار لرسول الله ﷺ قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [المائدة:٥٤].

وكذلك حذرناَ ♣ من قبول بعض الكتاب ورد بعضه كما فعل بنو إسرائيل من قبل لأن من فعل ذلك ليس له جزاء إلا الذل والفضيحة في الدنيا ويوم القيامة يردُّهم الله إلى أفظع العذاب في النار قال تعالى: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥)} [البقرة:٨٥].

معاشر الإخوة، إن الارتداد عن دين الإسلام إلى الكفر، تارة يكون بترك الإسلام بالكلية إلى ملة من ملل الكفر، وتارة يكون بارتكاب ناقض من نواقض الإسلام، لذا كان من الضروري أن نتناول بعضها حتى نحذر من الوقوع فيها، وهذا الباب زلت فيه أقدام وضلت فيه أفهام، وهو من أخطر الأبواب وأعظمها في الدين لا يتجرأ عليه إلا ضعيف الدين قليل الورع، فتكفير المعين - أي شخص محدد بعينه - يحتاج إلى استيفاء شروط وانتفاء موانع، وتفصيل ذلك في كتب أخرى مطولة وليس في هذا الكتاب، وإنما اكتفيت هنا بالإشارة إلى بعض نواقض الإسلام وبعض صور الردة على سبيل الإجمال والعموم، ولمن يرغب في التوسع في هذا الموضوع فليراجع الكتب المتخصصة في ذلك والله أعلم، ونذكر من نواقض الإسلام وصور الردة على سبيل الإجمال والعموم ما يلي (٢٧):

١ - **الشرك في عبادة الله تعالى**، مثل التقرب إلى الموتى بطلب الحاجات منهم، وصرف النذور لهم والذبح لأضرحتهم، والذبح للجن لطلب شفاء المريض قال تعالى:{إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً(٤٨)} [النساء:٤٨].

٢ – جحد ما علم من الدين بالضرورة وجوبه؛ كإنكار فرض الصلاة، أو الزكاة، أو الصوم، أو الحج ونحو ذلك، أو من قال بتناسخ الأرواح أي أن من مات تنتقل روحه إلى غيره لأن فيه إنكار البعث، وكذلك الشك في قدم العالم أو بقائه أو أنكر وجود الله تعالى، أو من قال إن العالم باق على الدوام فلا يفنى لأنه يستلزم إنكار القيامة ولو اعتقد حدوثه وهو تكذيب للقرآن الكريم ونحو ذلك.

٣ – استحلال ما علم تحريمه في الإسلام بالضرورة؛ كالزنا، وشرب الخمر، وقتل النفس عمدًا بغير حق وعقوق الوالدين ونحو ذلك، ومنها: سب الله، أو رسوله، أو دين الإسلام، أو الملائكة ونحو ذلك.

٤ – بغض شيء مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر إجماعا، قال تعالى:{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ(٩)} [محمد:٩].

٥ – طاعة العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرمه، فقد اتخذهم أربابا من دون الله، قال تعالى:{اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة:٣١].

٦ – الاستهزاء بشيء مما جاء به الرسول ﷺ، كالذي يستهزئ بإعفاء اللحى أو بالسواك أو بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أو بالجهاد أو غير ذلك.

قال تعالى:{وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ(٦٥)} [التوبة:٦٥].

٧ – من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع رسول الله ﷺ وأنه يسعه الخروج من شريعة الإسلام، كما وسع الخضر الخروج من شريعة موسى عليهما السلام والدليل قول الله تعالى:{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ(٨٥)} [آل عمران:٨٥].

٨ – ترك الصلاة مع جحودها، قال الإمام النووي في شرح مسلم: فان كان منكرا لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين خارج من ملة الإسلام، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام، ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها

وجوب الصلاة عليه، وإن كان تركها تكاسلا مع اعتقاده وجوبها كما هو حال كثير من الناس، فقد اختلف العلماء فيه فذهب مالك والشافعي رحمهما الله والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب فإن تاب والا قتلناه حدا كالزانى المحصن، ولكنه يقتل بالسيف، وذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر وهو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل رحمه الله.

٩ - السحر ومنه الصرف والعطف، فالصرف أى ما يفرق بين الزوجين - والعطف - أى الأعمال التي تحبب الرجل في المرأة والعكس - فمن فعله أو رضى به كفر قال تعالى:{وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ (١٠٢)} [البقرة:١٠٢].

١٠ - مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: {وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ الله لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(٢٣)} [التوبة:٢٣]، كمن يعمل عيناً للتجسس على المسلمين لصالح الأعداء، قال بعض أهل العلم إن عمل جاسوسا ليس رضا بالكفر، ولكن لدنيا يصيبها فهو مرتكب لكبيرة، وإن فعلها حبا للكفر وبغضا للإسلام وإظهارا لشعائر الكفر على الإسلام فهو كافر.

وينبغي الحذر من الارتداد عن دين الإسلام للحصول على منافع دنيوية فالمرتد عن دين الإسلام له عقوبة في الدنيا وهو القتل وفي الآخرة يكون من أصحاب الجحيم والعياذ بالله.

ولقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من طاعة أهل الكتاب والكفار من إلقائهم الشبه لنا في الدين فنرتد عن الدين، قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠)} [آل عمران:١٠٠]، وقال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ (١٤٩)} [آل عمران:١٤٩].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الحادي والعشرون:
توحيد الله تعالى

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة عبد الله بن حذافة السهمي كما ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن حذافة السهمي أحد الصحابة أنه أسرته الروم، فجاؤوا به إلى ملكهم فقال له: تَنَصَّر وأنا أُشْرِكك في مُلْكِي وأزوجك ابنتي، فقال له: لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما تملكه العرب على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفة عين ما فعلت، فقال: إذاً أقتلك، فقال: أنت وذاك، قال: فأمر به فصلب، وأمر الرماة فرموه قريباً من يديه ورجليه وهو يعرض عليه دين النصرانية فيأبى، ثم أمر به فأنزل، ثم أمر بقدر، وفي رواية ببقرة من نحاس فأحميت، وجاء بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظر، فإذا هو عظام تلوح، وعرض عليه فأبى، فأمر به أن يُلْقى فيها، فرفع في البكرة ليلقى فيها، فبكى فطمع فيه ودعاه، فقال: إنما بكيتُ لأن نفسي إنما هي نفس واحدة تُلقى في هذه القدر الساعة في الله، فأحببت أن يكون لي بعدد كل شعرة في جسدي نفس تعذب هذا العذاب في الله. وفي بعض الروايات أنه سجنه ومنع منه الطعام والشراب أياماً، ثم أرسل إليه بخمر ولحم خنزير فلم يقربه، ثم استدعاه فقال: ما منعك أن تأكل؟ فقال: أما إنه قد حل لي، ولكن لم أكن لأُشَمِّتك بي، فقال له الملِك: فقبل رأسي وأنا أُطْلِقك، فقال: وتطلق معي جميع أسارى المسلمين؟ قال: نعم، فقبل رأسه فأطلقه وأطلق معه جميع أسارى المسلمين عنده، فلما رجع، قال عمر ﷺ : حق على كل مسلم أن يُقَبِّل رأس عبد الله بن حذافة، وأنا أبدأ، فقام فقبل رأسه ﷺ.... اهـ.

أخي الحبيب، الهواء تحسُّه الأيدي ولا تراه من أخفاه؟ النَّبت في

الصحراء من أرْبَاه؟ البدر من أتمَّه وأسراه؟ النخل من شقَّ نواه؟ الجبل من أرساه؟ الصخر من فجَّر منه المياه؟ النهر من أجراه؟ البحر من أطغاه؟ الليل من حاك دُجَاه؟ الصُّبح من أسفره وصاغ ضحاه؟ النوم من جعله وفاة؟ واليقظة منه بعثًا وحياة؟!! العقل من منحه وأعطاه؟ النحل من هداه؟ الطير في جو السماء من أمسكه ورعاه؟ في أوكاره من غذَّاه ونمَّاه؟ الجبار من يقصمه؟ المظلوم من ينصره؟ المضطَّر من يجيبه؟ الملهوف من يغيثه؟ الضال من يهديه؟ الحيران من يرشده؟ العاري من يكسوه؟ الجائع من يشبعه؟ الكسير من يجبره؟ الفقير من يغنيه؟ أنت، أنت مَنْ خلقك؟ من صوَّرك؟ من شق سمعك وبصرك؟

ستجيب ما في الكون من آياته ::: عجب عجاب لو ترى عيناكا
ربي لك الحمد العظيم لذاتك ::: حمدًا وليس لواحد إلاَّكا
إن لم تكن عيني تراك ::: فإنني في كل شيء أستبين عُلاكا

الكون كله بكائناته يسجد لله ويخضع ويذل وتبقى فئة من الناس معرضة، كل الخلائق تسجد لله رب العالمين، قال تعالى:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨)} [الحج:١٨]، فسبحان الله وبحمده عدد خلقه ورِضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، وَعن عمرو بن عبسة قال:قال رسول الله ﷺ :«مَا تَسْتَقِلُّ الشَّمْسُ فَيَبقَى شَيءٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ إلا سَبَّحَ اللهَ بِحَمدِهِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ الشَّيَاطِينِ وَأَعْبِيَاءِ بَنِي آدَمَ» (١)، وصدق رسول الله ﷺ (٥٩).

إخوتي في الله، الشرك شركان : شرك أكبر، وشرك أصغر .

الشرك الأكبر: وهو أن يجعل الند شريكا لله في أنواع العبادات أو بعضها كمن يذبح لغير الله، وينذر لغير الله، ويدعو غير الله، ويستعين بغير الله ويخاف غير الله ويرجو ويستغيث بغير الله.

الشرك الأصغر: مثل الحلف بغير الله، أو في الرياء وهو أن يعمل

(١) (حسن) أخرجه أبو نعيم في الحلية وحسنه الألباني في ص.ج ٥٥٩٩.

الرجل العمل من أجل الناس حتى يثنوا عليه كمن يحسن صلاته من أجل الناس، ومن ينفق الأموال ويتصدق حتى يقول الناس: أنه منفق، ومن يجاهد بشجاعة ليقال: شجاع.

والإيمان بالله عز وجل: هو الإيمان بوجوده وإفراده بالربوبية والألوهية والإيمان بجميع أسمائه وصفاته، فتوحيد الربوبية أى الإيمان بأن الله هو الخالق الرازق المدبر لهذا الكون وحده لا شريك له، وتوحيد الألوهية هو إفراد الله تعالى بالعبادة كالدعاء والإنابة والاستغاثة والرجاء والخوف والذبح..إلخ، وتوحيد الأسماء والصفات أي الإيمان بأسمائه وصفاته التى جاءت في الكتاب والسنة، وطريقة أهل السنة في توحيد أسماء الله وصفاته على ثلاثة أوجه:

الأول: إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، فالله سبحانه وتعالى سميع، فالسمع معلوم والكيف مجهول، وكذا الله بصير، فالبصر معلوم والكيف مجهول، وهكذا لباقي الصفات، ونحن نؤمن بأن كل صفات الله الواردة في الكتاب والسنة حقيقية تليق بجلال الله ولا تماثل المخلوقين.

الثاني: نفي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله من صفات النقص، فالله تعالى نفى عن نفسه الظلم، ومن ثم يثبت الضد فهو العدل.

الثالث: أما ما لم يرد نفيه ولا إثباته مما تنازع عليه الناس كالجسم والحيز والجهة ونحوه فنتوقف في لفظه، فلا يثبت ولا ينفى لعدم وروده، وأما معناه إن أريد به باطل ينزه الله عنه ردوه، وإن أريد به حق لا يمتنع عن الله قبلوه.

والعبادة التي أمر الله بها لا تسمى عبادةً إلا مع توحيد الله تعالى، فلا تصح العبادة مع الشرك، ولا يوصف أحد بأنه عبد لله تعالى إلا مع تحقيقه التوحيد، وإفراد الله تعالى وحده بالعبادة، فمن عَبَد الله تعالى وأشرك معه غَيْرَه فليس عبدا لله.

فتوحيد الله تعالى، وإخلاص العبادة لله وعدم الإشراك به، هو الشرط في قبول العبادة عند الله، إضافة إلى أن العبادة لا تكون مقبولة إلا بموافقة الشرع وعلى وفق سنة رسول الله ﷺ، كما قال تعالى:{بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة:١١٢].

ومعنى{أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله} أي: حقق التوحيد فأخلص عبادته لله.

ومعنى{وَهُوَ مُحْسِنٌ}، أي: مُتَّبع لرسول الله ﷺ.

و عبادة الله ♣ لها ثلاثة أصول مجتمعة وهي المحبة والخوف والرجاء، فمن عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن (١٨).

فالحب بمثابة رأس الطائر، والخوف والرجاء للمؤمن بمثابة الجناحين للطائر، فلابد أن يجتمع كل من الخوف والرجاء في قلب المؤمن حتى يحلق في سماء الإيمان، ومن المعلوم أن من كان بالله أعرف كان منه أخوف، فينبغي على المؤمن التحلي بدوام المراقبة لله تعالى في السر والعلن، فإن الله تعالى يلوم العبد الذي لم يعظمه حق التعظيم، والله تعالى يقول:{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} [الحديد:٤].

لذلك جمع الله بين الخوف والرجاء في سياق واحد في معرض مدحه لعباده المؤمنين، فقال:{أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً} [الإسراء: ٥٧]، وقال:{إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} [الأنبياء:٩٠].

وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ الله إِنِّي أَرْجُو الله، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ

هَذَا الْمُوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ الله مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ» [1].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (حسن) أخرجه (ت هـ) وحسنه الألباني في صت ٣٣٨٣.

الدرس الثاني والعشرون:
إخلاص العمل لله تعالى

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع صاحب النقب، أخرج ابن قتيبة الدينوري في عيون الأخبار عن حاتم عن الأصمعيّ قال: حدّثنا أبو عمرو الصّفّار قال: حاصر مَسْلَمَةُ بن عبد الملك حصنا فندب - أي حث - الناس إلى النقب - أي النفق -، فما دخله أحد، حتى جاء رجل من عرض الجيش - أي جيش المسلمين - فدخله وعالج الباب - أي تعامل مع الباب - فكسره، ففتحه الله عليهم، فنادى مَسْلَمَةُ على صاحب النَقَب فما جاء أحد.

قال: فليدخل عليَّ ساعة يأتي. فأتى رجل فقال للحاجب - أي الحارس -: استأذن لي على الأمير.فقال: أنت صاحب النقب؟ قال: أنا أخبركم عنه.فأتى مسلمة فأخبره الحاجب، فأذن له، فقال له: إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثا: ألا تسودوا - أي تكتبوا - اسمه في صحيفة الخليفة، ولا تأمروا له بشيء، ولا تسألوه من هو؟ قال مسلمة: نعم فمن هو؟ قال الرجل: أنا هو ثم اختفى، فكان مَسْلَمَةُ لا يصلى صلاة إلا قال: اللهم اجعلنى مع صاحب النقب.

ولقد حثنا الله ♣ على الإخلاص في الأعمال، فقال تعالى على لسان إبراهيم ﷺ :{قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام:١٦٢]، وقال تعالى:{وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة:٥].

وعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ

إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» (١)، وعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ ﷺ : أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ»، قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ يَقُولُ الله ♣ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاؤُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً» (٢).

أخي الحبيب، قال أحد الحكماء: مَثَل من يعمل الطاعات للرياء والسمعة كَمَثَلِ رجل خرج إلى السوق وملأ كيسه حصاة، فيقول الناس: ما ملأ كيس هذا الرجل! ولا منفعة له سوى مقالة الناس، ولو أراد أن يشتري شيئا لا يُعْطَى به شيئا، كذلك الذي عمل العمل لِيُرائي الناس لا ثواب له في الآخرة كما قال الله تعالى:{وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً(٢٣)} [الفرقان:٢٣]، يعنى أن الأعمال التى عملوها لغير وجه الله أبطلنا ثوابها وجعلناها كالهباء المنثور، وهو الغبار الذي يرى في شعاع الشمس، فالرجلان بجوار بعضهما، يصليان صلاة واحدة، وخلف إمام واحد، وبينهما كما بين الأرض والسماء.

الله أكبر! كم من عمل صغير تكبره النية، وكم تبلغ مجرد النية بأصحابها ولو لم يعملوا، أخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ : أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَدَنَا مِنْ الْمَدِينَةِ فَقَالَ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: «وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمْ الْعُذْرُ» (٣).

وهذا والله هو الفضل أن تنوي الخير وتسبق بنيتك، فلا تحرم نفسك من هذا الفضل العظيم، وهل يميز المؤمن عن المنافق إلا بما في قلب كل منهما؟!! إنه الإخلاص رفع الله به قوماً، ووضع بتركه آخرين(٤١).

قال تعالى:{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ الله وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ الله إِلاَّ قَلِيلاً (١٤٢)}

(١) (صحيح) أخرجه (خ)٢٣٩٢ و(م) ١٩٠٧.
(٢) (صحيح) أخرجه (حم) وصححه الألباني في ص.ج ١٥٥٥.
(٣) (صحيح) أخرجه (خ) ٤١٦١.

[النساء: ١٤٢].

معاشر الإخوة، من الوسائل التى تعين على تحقيق الإخلاص ما يلى:

أولاً: أن تعرف ما هو الإخلاص؟ والإخلاص: أن يكون العمل لله لا ترى فيه نفسك ولا حظوظها، ولا ترى فيه الخلق؛ وعلامة الإخلاص: استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن، وليس معنى ذلك أن تعذب نفسك بكثرة الوساوس، وهل أنت مخلص أم مُرَاءٍ، فتنبه؛ فكم من الناس يحرمون أنفسهم من الأعمال بحجة: نخشى أن نقع في الرياء. يتركون الكثير من الأعمال بحجة أن هذا العمل رياء، والعلاج تصحيح النية.

ثانياً: معرفة الله وعظمته وقدرته وفضله{وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [النور: ٢١]، فهل ينظر للخلق من عرف الله بحق؟! بالطبع لا.

ثالثاً: معرفة النفس وأنها جاهلة ظالمة طبعها الكسل وحب الشهوات، والظهور، فتذكر يا ابن آدم أنك تموت، وتدخل القبر وحدك، وتبعث وحدك، وتحاسب وحدك، فتنبه!! فلا يغرك الناس فأنت أعلم بنفسك.

رابعاً: اعلم أنك عبد محض، والعبد لا يستحق على خدمته لسيده أجراً، إذ هو يخدمه بمقتضى عبوديته، فما يناله من سيده من الأجر فهو تفضل منه.

خامساً: أنت مخلوق ضعيف{خُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً} [النساء:٢٨]، فأكثر من الاستعانة بالله، وألح عليه بالدعاء أن يرزقك الإخلاص قبل العمل، وأثناء العمل وبعد العمل، واستعذ بالله من شر نفسك ومن الرياء،

فَعَنْ أَبِي عَلِيٍّ رَجُلٍ مِنْ بَنِي كَاهِلٍ قَالَ: خَطَبَنَا أَبُو مُوسَى ﷺ فَقَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ» فَقَالَ لَهُ مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ: وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «قُولُوا اللهمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ»[1] (٥٤).

(١) (حسن لغيره) أخرجه (حم طس ش) وحسنه الألباني صت ٣٦.

إخوتي في الله، هناك أمور يجب التنبيه عليها في مسألة الإخلاص:

أولاً: إخفاء الأعمال علامة على الإخلاص لكنه ليس شرطاً للإخلاص، المهم ألا تقصد نظر الناس إليك، ولا يهمك نظرهم وقولهم.

ثانياً: ليس من الرياء نشاط العبد للخير عند مجالسة الصالحين، فإن مجالستهم تبعث على النشاط وعلو الهمة، فليكن عملك لله وليس لهم وإن كانوا سبباً في تشجيعك للعمل، لكن احذر الكسل على الدوام، قال علي ابن أبي طالب ﷺ : للمرائي علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثني عليه، وينقص إذا ذم به.

ثالثاً: ثناء الناس ومدحهم لا ينافي الإخلاص، بل قد يكون عاجل بشرى المؤمن، عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنْ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ»[1]، لكن إياك أن يكون العمل طلباً للثناء، أو حتى انتظار الثناء من المخلوقين، فالمخلص يفر من الشهرة، ولكن الله يضع له القبول في الأرض فيسر العبد بفضل الله، قال ابن رجب: وهنا نكتة دقيقة، وهي أن الإنسان قد يذم نفسه بين الناس، يريد بذلك أن يُري الناس أنه متواضع، فيرتفع بذلك عندهم.

رابعاً: ليس معنى الإخلاص ترك العمل خوفا من الرياء، قال الفضيل ابن عياض: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما. نسأل الله أن يعافينا وإياكم منهما.

خامساً: يقول ابن القيم رحمه الله: لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس، إلا كما يجتمع الماء والنار.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٦٤٢.

الدرس الثالث والعشرون:
الإيمان بالملائكة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة نزول جبريل عليه السلام بالرسالة على رسول الله ﷺ في غار حراء. أخرج البخاري في صحيحه عن عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: كَانَ أَوَّلَ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ فَكَانَ يَلْحَقُ بِغَارِ حِرَاءٍ، فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ. قَالَ: وَالتَّحَنُّثُ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ بِمِثْلِهَا، حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: «اقْرَأْ»، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجُهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي»، فَقَالَ: «اقْرَأْ»، قُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجُهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي» فَقَالَ: «اقْرَأْ»، قُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجُهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي»، فَقَالَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ(٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ(٥)} [العلق: ١ - ٥]، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ الله ﷺ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، قَالَ لِخَدِيجَةَ: «أَيْ خَدِيجَةُ، مَا لِي! لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي- فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ»، قَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلاَّ، أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لاَ يُخْزِيكَ الله أَبَدًا، فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ - أي تنفق على الضعيف -، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ - تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك -، وَتَقْرِي الضَّيْفَ - أي تكرمه -، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ

الْعَرَبِيَّ، وَيَكْتُبُ مِنْ الإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، قَالَ: وَرَقَةُ يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ: وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ - أي جبريل - الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى، لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟» قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ أُوذِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ حَيًّا أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ (١).

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ» (٢).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ» (٣).

إخوتي في الله، نحن نحب الملائكة جميعهم ونواليهم ولا نفرق بين ملك وآخر؛ لأنهم جميعا عباد لله تعالى عاملون بأمره وتاركون لنهيه ولقد زعم اليهود أن جبريل عدو لهم وأن ميكائيل ولي لهم فأخبرهم ربهم بأن من عادى أحدا منهم فقد عادى الله ♣، قال الله تعالى: {قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧)} [البقرة: ٩٧].

ولقد رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام على صورته مرتين: أحدهما في غار حراء، والأخري في رحلة الإسراء والمعراج رآه بستمائة جناح يسد الأفق بين المشرق والمغرب.

وأخبرنا الله ♣ بأن الملائكة لهم أجنحة يتفاوتون في أعدادها مثنى وثلاث ورباع، ومنهم من له أكثر من ذلك كما أسلفنا أن جبريل عليه السلام له ستمائة جناح، وهم خلق من نور وليسوا كالبشر يأكلون ولا

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٤٦٧٠.
(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٢٩٩٦.
(٣) (صحيح) أخرجه (د طس ن) وصححه الألباني في س.ص ١٥١.

يشربون ولا ينامون ولا يتزوجون مطهرون من الشهوات ومنزهون عن الآثام والخطايا ولا يتصفون بشيء من الصفات المادية لبني آدم، غير أنهم لهم القدرة أن يتشكلوا بصور البشر، والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم فهم يتأذون من رائحة الثوم والبصل والكرات، ولا تدخل الملائكة بيت فيه كلب أو صورة ولا يملون ولا يتعبون من عبادة الله ♣. وأن الملك الموكل بالوحي إلى الرسل عليهم الصلاة والسلام هو الروح الأمين جبريل عليه السلام، قال تعالى:{وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ(١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ(١٩٥)} [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥].

والملك الموكل بالقطر أى المطر هو ميكائيل عليه السلام وهو ذو مكانة عالية عند ربه ♣ وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به ويصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الله ♣، والملك الموكل بالنفخ في الصور، فالنفخة الأولى نفخة الصعق لصعق كل الخلائق إلا من شاء الله، والنفخة الثانية نفخة البعث والنشور فإسرافيل عليه السلام قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له للنفخ في الصور وحسبنا الله ونعم الوكيل وعلى الله توكلنا.

فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدْ الْتَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ وَحَنَى جَبْهَتَهُ وَأَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ فَيَنْفُخَ قَالَ الْمُسْلِمُونَ: فَكَيْفَ نَقُولُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: قُولُوا حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الْوَكِيلُ تَوَكَّلْنَا عَلَى الله تَوَكَّلْنَا (١).

وملك الموت وأعوانه هم الموكلون بقبض الأرواح قال تعالى:{قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١١)} [السجدة: ١١].

والملائكة الموكلة بحفظ العبد في الحضر والسفر وفي النوم واليقظة وفي كل حالاته ويحصون ما يصدر عنه من خير أو شر هم المعقبات، قال تعالى:{لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ (١١)}

(١) (صحيح) أخرجه (حم ت حب ك) وصححه الألباني في ص.ج ٤٥٩٢.

[الرعد: ١١].

والملائكة الموكلة بإحصاء ما يصدر من العبد من خير وشر هم الكرام الكاتبون قال تعالى:{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ(١٠) كِرَاماً كَاتِبِينَ(١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ(١٢)} [الانفطار: ١١ - ١٢].

وخزنة الجنة وهم ملائكة كرام قال تعالى:{جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ} [الرعد:٢٣].

وخزنة جهنم ملائكة كرام هم الزبانية ورؤساؤهم تسعة عشر وفي مقدمتهم مالك عليه السلام قال تعالى:{وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ(٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ(٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ(٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ(٣٠)} [المدثر ٢٧ - ٣٠]، وقال تعالى عن نداء أهل النار لمالك عليه السلام:{وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ(٧٨)} [الزخرف:٧٧ - ٧٨].

وحملة العرش يوم القيامة ثمانية من الملائكة العظام قال تعالى:{وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ} [الحاقة:١٧].

وهناك أنواع أخرى من الملائكة مثل ملائكة حِلَقِ الذِّكْرِ السُّيَاحِ الذين يَحُفُّونَ حِلَقِ الذِّكرِ بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، وملائكة صفوف لا يفتَرون، وقُيَّام لا يركعونَ، وَرُكَّعٌ وسُجَّدٌ لا يرفعون، وآخرون لا نعلمهم الله يعلمهم.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الرابع والعشرون:
الإيمان بالأنبياء والرسل والكتب السماوية

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع رحلة الإسراء والمعراج ولقاء النبي ﷺ بالأنبياء، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ وَذَكَرَ يَعْنِي رَجُلًا بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَشُقَّ مِنَ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقِّ الْبَطْنِ، ثُمَّ غُسِلَ الْبَطْنُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، وَأُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ الْبُرَاقُ، فَانْطَلَقْتُ مَعَ جِبْرِيلَ، حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى آدَمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنِ ابْنٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى عِيسَى وَيَحْيَى فَقَالَا: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّالِثَةَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى يُوسُفَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، قَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قِيلَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِدْرِيسَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْنَا عَلَى هَارُونَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا عَلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ

وَنَبِيٍّ، فَلَمَّا جَاوَزْتُ بَكَى فَقِيلَ: مَا أَبْكَاكَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ هَذَا الْغُلَامُ الَّذِي بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَفْضَلُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ جِبْرِيلُ قِيلَ: مَنْ مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ ابْنٍ وَنَبِيٍّ..» [1].

والنبي هو رجل حر أُوحِيَ إليه يأتي مقررا شرعا سابقا، والرسول هو رجل حر يُوحَى إليه بشرع جديد وأمر بتبليغه، وعدد الأنبياء والمرسلون الذين ذكروا في القرآن خمسة وعشرون نبيا، والأنبياء والمرسلين الذين ذكروا في القرآن هم آدم ونوح وإدريس وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وداود وسليمان ويونس وأيوب وصالح وهود وصالح وموسى وهارون وإلياس وذو الكفل واليسع وزكريا وعيسى ويحيى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

وذكر في القرآن أنبياء على سبيل الإجمال وليس التفصيل كالأسباط وهم الأنبياء الذين كانوا من قبائل بني إسرائيل الاثنى عشر من ولد يعقوب عليهم السلام.

وذكر نبي لبني إسرائيل قال عنه المفسرون هو يوشع ابن نون وهو غلام موسى عليه السلام في رحلة الخضر وهو الذى سأله قومه ملكا لمحاربة العماليق بقيادته فاختار لهم طالوت بوحي من ربه.

والأنبياء والمرسلين يكونون ذكورا وليسوا إناثا؛ لأن الأنوثة تقتضى التستر، والتستر ليس من صفة الأنبياء والمرسلين لما يتعارض من متطلبات الدعوة والتبليغ، وهم يتزوجون ويتناسلون ويتعرضون لكل ما يتعرض له سائر البشر من المرض والموت ويأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، ونعتقد بعصمة الرسل الكرام وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومعنى العصمة أنهم لا يتركون واجبا ولا يفعلون محرما ولا يفعلون ما يتنافى مع الخلق الكريم ونعتقد بأن الله حلاهم بالأخلاق العظيمة.

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٠٣٥.

وعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كَانَ آدَمُ نَبِيّاً مُكَلَّماً، كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نُوحٍ عَشْرَةُ قُرُونٍ، وَكَانَتْ الرُّسُلُ ثَلاَثمائةً وخَمسةَ عَشَر»[1]، وفي رواية عن أبي أمامة قالَ أبو ذر: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ! كَمْ وَفَاءُ عِدَّةِ الأَنبياءِ؟ قَالَ «مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرونَ أَلفاً، الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلاثُمائةٍ وخَمسةَ عَشَر، جَماً غَفِيراً»[2].

وعدد الأنبياء والمرسلين الذين ذكروا في القرآن خمسة وعشرون، قال تعالى:{إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً(١٦٣) وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً(١٦٤) رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً (١٦٥)} [النساء: ١٦٣ - ١٦٥]، وقال تعالى:{وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ(٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ(٨٦) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ(٨٧)} [الأنعام: ٨٥ - ٨٧]، وقال تعالى:{وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ(٨٥)} [الأنبياء: ٨٥]، وقال تعالى:{يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً(٧)} [مريم: ٧]، وقال تعالى:{وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ(٨٩)} [هود: ٨٩]، وقال تعالى:{إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلاَ تَتَّقُونَ(١٧٧)} [الشعراء: ١٧٧]. وقال تعالى:{لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ(٧)} [يوسف: ٧].

إخوتي في الله، إن الله تعالى يرسل مع الأنبياء والمرسلين معجزات يعجز العقل البشري عن تفسيرها فهي أمور خارقة للعادة ليقيم الدليل القاطع على صدق نبوته.

ولقد اختلفت أساليب تلقى الرسالة بينهم فمنها المسموع من الله من

(١) (صحيح) صححه الألباني في س. ص ٢٦٦٨.
(٢) (صحيح) أخرجه (طب) وصححه الألباني في مش ٥٧٣٧.

وراء حجاب بلا واسطة، ومنها ما يسمعه الملك من ربه فيبلغه إلى الرسول البشري، ومنها ما هو بخط الله ♣ كما في ألواح التوراة.

ولا يوجد تعارض بين الكتب السماوية بل يصدق بعضها بعضا فكلها متفقة في عقيدة التوحيد بأنه لا اله إلا الله وأن الموت حق والبعث حق والجنة حق والنار حق وأن المؤمنين مآلهم لجنة الخلد وأن الكفار والعصاة مآلهم إلى النار.

وأما الشرائع فمختلفة، فشريعة اليهود غير شريعة النصارى غير شريعة الإسلام وهكذا، فالحلال والحرام قد يختلف من شريعة لأخرى فقد يخفف الله تعالى على هؤلاء ويشدد الله تعالى على هؤلاء، وقد يحرم على أمة من الأمم كأمة بني إسرائيل مثلا ما قد يحله على أمة أخرى كأمة الإسلام.

ولقد تعرضت الكتب السابقة للقرآن للتحريف والتبديل وجاء القرآن ناسخا لكل هذه الكتب والقرآن هو الكتاب الخاتم وليس بعده كتاب ينسخه ولا مغير ولا مبدل لشيء من شرائعه بعده.

والكتب السماوية التى سبقت القرآن والتى ذكرت في القرآن التوراة، والزبور، والإنجيل، على موسى، وداود، وعيسى عليهم السلام، وكذلك صحف إبراهيم عليه السلام، ولا يجوز لأمة المسلمين العمل بهذه الشرائع بل بشريعة الإسلام فقط.

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ : أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ فَقَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَغَضِبَ فَقَالَ: «أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا بْنَ الْخَطَّابِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى ﷺ كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»[1].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (حسن) أخرجه (حم هب) مش ١٧٧.

الدرس الخامس والعشرون:
الإيمان باليوم الآخر

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة رجل من بني إسرائيل قيل: إنه عزير وقيل غير ذلك والله أعلم، مرَّ وهو راكبا على حماره ويحمل طعامه وشرابه، على أورشاليم القدس بعد أن هدمها أعداء بني إسرائيل وأصبحت ديارها محطمة خالية من أهلها فقال: كيف يحيي الله هذه القرية بعد موتها؟ فأماته الله مائة عام، ثم ردَّ إليه روحه، وقال له: كم قدر الزمان الذي لبثت ميتًا؟ قال: بقيت يومًا أو بعض يوم، فأخبره بأنه بقي ميتًا مائة عام، وأمره أن ينظر إلى طعامه وشرابه، وكيف حفظهما الله من التغيُّر هذه المدة الطويلة، وأمره أن ينظر إلى حماره كيف أحياه الله بعد أن كان عظامًا متفرقة؟ وقال له: ولنجعلك آية للناس، أي: دلالة ظاهرة على قدرة الله على البعث بعد الموت، وأمره أن ينظر إلى العظام كيف يرفع الله بعضها على بعض، ويصل بعضها ببعض، ثم يكسوها بعد الالتئام لحمًا، ثم يعيد فيها الحياة؟ فلما اتضح له ذلك عِيانًا اعترف بعظمة الله، وأنه على كل شيء قدير، وصار آية للناس، وقد بين الله تعالى ذلك في قوله:{أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(٢٥٩)}[البقرة:٢٥٩].

وقد بين الله تعالى في محكم كتابه قضية البعث للناس حتى يجنبهم الشك في أمر البعث بعد الموت في سورة الحج قال تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ

إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ(٥)} [الحج:٥].

وبين الله تعالى أن البعث بعد الموت يكون لمحاسبة الناس على ما قدمت أيديهم في الدنيا، وفي يوم الحساب لايغني فيه والد عن ولده ولا مولود عن أبيه شيئًا، فهذا وعد الله الحق الذى لا شك فيه، فلا تنخدعوا أيها الناس بالحياة الدنيا وزخرفها فتنسيكم الدار الآخرة ولا يخدعنكم شياطين الجن والإنس ويتضح ذلك في قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِالله الْغَرُورُ (٣٣)} [لقمان:٣٣].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَمْشِي فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَلِقَائِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ»(١).

وقال تعالى في وصف المؤمنين:{وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} [البقرة:٤].

أخي الحبيب، الإيمان باليوم الآخر هو الاعتقاد بالبعث بعد الموت، وأن هناك يوماً يحاسب فيه الناس على أعمالهم، والتصديق بكل ما أخبر الله به مما يكون في ذلك اليوم ويشتمل الإيمان باليوم الآخر على مجموعة من الحقائق، وردت في الكتاب والسنة، ملخصها كما يلي:

١ - خروج الروح، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا حُضِرَ - أي احتضر - الْمُؤْمِنُ، أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي رَاضِيَةً مَرْضِيًّا عَنْكِ إِلَى رَوْحِ الله وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ رِيحِ الْمِسْكِ، حَتَّى أَنَّهُ لَيُنَاوِلُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ السَّمَاءِ، فَيَقُولُونَ: مَا

(١) (صحيح) أخرجه (حم ق ه) وصححه الألباني في ص.ج برقم ٢٧٩٦.

أَطْيَبَ هَذِهِ الرِّيحَ الَّتِي جَاءَتْكُمْ مِنَ الأَرْضِ! فَيَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَهُمْ أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِغَائِبِهِ يَقْدَمُ عَلَيْهِ، فَيَسْأَلُونَهُ مَاذَا فَعَلَ فُلاَنٌ؟ مَاذَا فَعَلَ فُلاَنٌ؟ فَيَقُولُونَ: دَعُوهُ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا، فَإِذَا قَالَ: أَمَا أَتَاكُمْ؟ قَالُوا: ذُهِبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا احْتُضِرَ أَتَتْهُ مَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ بِمِسْحٍ فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي سَاخِطَةً مَسْخُوطًا عَلَيْكِ إِلَى عَذَابِ اللهِ ♣، فَتَخْرُجُ كَأَنْتَنِ رِيحٍ جِيفَةٍ حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ الأَرْضِ، فَيَقُولُونَ: مَا أَنْتَنَ هَذِهِ الرِّيحَ! حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ» (١).

٢ - فتنة القبر، فَعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا وَقَالَ - أي عن العبد الصالح إذا أُقْبِرَ - يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسلام، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيَقُولاَنِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ قَالَ: فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ.. - وقال عن العبد الكافر إذا أُقْبِرَ - يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِي، فَيَقُولاَنِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، قَالَ: وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلاَعُهُ، ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكَمُ مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا، قَالَ: فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، إِلاَّ الثَّقَلَيْنِ فَيَصِيرُ تُرَابًا قَالَ: ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ» (٢).

٣ - الساعة وأماراتها، والساعة هي التي تنتهي فيها الحياة الدنيا بجميع

أوضاعها، وتبدأ القيامة بكل أهوالها، وموعدها لا يعلمه إلا الله، وليس لأحد من سبيل إلى معرفة وقتها، قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ

(١) (صحيح) أخرجه (ن ك) صححه الألباني في ص. ج ٤٩٠.
(٢) (صحيح) أخرجه (حم د ابن خزيمة ك هب الضياء) وصححه الألباني في ص. ج ١٦٧٦.

أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ} [الأعراف:١٨٧]، وقال تعالى:{إِنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [لقمان:٣٤].

ولكن وردت علامات لها في الكتاب والسنة، قال تعالى:{فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ} [محمد:١٨]، فأما العلامات الصغرى فمنها بعثة الرسول وقبض العلم وظهور الجهل والفتن وانتشار الزنا وشرب الخمر وإسناد الأمر إلى غير أهله وتضييع الأمانة... إلخ ويمكن التعرف عليها بالتفصيل من كتاب (زاد المسلم اليومي من العلم الشرعي لنفس المؤلف)، وأما علامات الساعة الكبرى فهي عشرة: كما في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ ﷺ قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ: «مَا تَذَاكَرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ، وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»[1].

٤ - البعث، وهو إحياء الناس جميعًا من قبورهم، قال تعالى:{إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} [الأنعام:٣٦].

٥ - الحشر، وهو سوق الناس بعد بعثهم إلى أرض المحشر، وهو المكان الذي يقفون فيه انتظارًا لفصل القضاء بينهم، قال تعالى:{وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً} [الكهف:٤٧] والمعني: واذكر لهم يوم نُزيل الجبال عن أماكنها، وتبصر الأرض ظاهرة، ليس عليها ما يسترها مما كان عليها من المخلوقات، وجمعنا الأولين والآخِرين لموقف الحساب، فلم نترك منهم أحدًا.

٦ - الحساب، فبعد الحشر يبدأ العرض والحساب، حيث يُعرض

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٩٠١.

الناس على ربهم، وتُقام الحجج لهم وعليهم، ويطلعون على أعمالهم، قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} [ص:٢٦].

٧ - الحوض والميزان والصراط، فأما الحوض فإن من شرب منه فإنه لا يظمأ أبدًا، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :«حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنْ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبَدًا» (١).

وأما الميزان، فهو ميزان لا يعلم حقيقته إلا الله، تُوزن به أعمال العباد، إظهارًا لعدل الله، قال تعالى:{فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ(١٠٣)} [المؤمنون: ١٠٢ - ١٠٣].

وأما الصراط، فهو جسر منصوب على جهنم، والمرور عليه لجميع الناس، فمن كان مؤمنًا مستقيمًا نجا بسرعة، ومن خلط عملاً صالحًا وآخر سيئًا أبطأ في اجتيازه، ومن كان كافرًا سقط في جهنم، قال تعالى:{وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً(٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً (٧٢)} [مريم: ٧١، ٧٢].

٨ - الجنة والنار، قال الله تعالى عن الجنة:{وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة:٨٢]، وقال تعالى عن النار:{وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة:٣٩].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٦٢٠٨، و(م) ٢٢٩٢ واللفظ للبخاري.

الدرس السادس والعشرون:
الإيمان بالقدر خيره وشره

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع عمر بن الخطاب ﷺ عند دخوله إلى بلاد الشام، أخرج البخاري في صحيحه عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ، لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأَجْنَادِ - أي الجند - أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ - أي الطاعون - قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّأْمِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّأْمِ فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ: بَعْضُهُمْ قَدْ خَرَجْتَ لأَمْرٍ وَلاَ نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلاَ نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي - أي قوموا واذهبوا عني -، ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي الأَنْصَارَ فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ - أي قالوا ما قاله المهاجرين - وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلاَفِهِمْ فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ - أي كبارهم في السن - مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ فَدَعَوْتُهُمْ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلاَنِ فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلاَ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ - كناية عن الرجوع للمدينة - فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللهِ؟! فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ - أي ممن ليس في منزلتك أي لأدبته -، نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ إِلَى قَدَرِ اللهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ، قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ، فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ

يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ - أي بالطاعون - بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ - فلا تدخلوها - وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ» قَالَ: فَحَمِدَ الله عُمَرُ - أي على موافقة اجتهاده واجتهاد كثير من الصحابة لحديث رسول الله ﷺ - ثُمَّ انْصَرَفَ (١).

فالله سبحانه وتعالى لا يقبل عمل العبد إذا لم يؤمن بالقدر خيره وشره أى يعلم أن ما حدث له لم يكن بالمقدور ألا يحدث له وما لم يحدث له لم يكن بالمقدور أن يحدث له، فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ» (٢).

ومراتب الإيمان بالقدر أربعة:

الأولى: الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء قبل خلقه وأنه عَلِم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، قال تعالى:{وَلَوْ عَلِمَ الله فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ} [الأنفال: ٢٣].

والثانية: الإيمان بأن الله كتب كل شيء في كتاب، وقال تعالى:{مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِيرٌ} [الحديد:٢٢].

والثالثة: الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، قال الله تعالى{وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ الله رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير ٢٩].

والرابعة: الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء وخالق حركاته وسكناته، وقال تعالى{وَالله خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات:٩٦].

وللشافعي أربعة أبيات يقول عنها ابن عبد البر: إنها من أثبت ما نسب إليه، ومن أحسن ما قيل في القدر نظماً:

مَا شِئْتَ كَانَ وإن لم أشأ ::: وما شئت إن لم تشأ لم يكن

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٥٣٩٧ و(م) ٢٢١٩.
(٢) (صحيح) أخرجه (ت) وصححه الألباني في ص.ج ٧٥٨٥.

خلقتَ العبـاد علـى مـا علمـتَ ::: وفي العلم يجـرى الفـتى والمُسـنُّ
علـى ذا منـنـتَ وهـذا خـذلتَ ::: وهـذا أعنـتَ وذا لم تُعِـن
فمنـهم شـقي ومنـهم سـعيد ::: ومنـهم قبـيح ومنـهم حسـن

أخي الحبيب، ينبغي أن تعلم أنه لا يتنافى مع الإيمان بالقدر فعل الأسباب بل إن من تمام الإيمان بالقدر فعل الأسباب، فَعَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ فَأَتَانَا رَسُولُ الله ﷺ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ الله مَكَانَهَا مِنْ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا وَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً، قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله أَفَلَا نَمْكُثُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ فَقَالَ: مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَقَالَ: اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ ، ثُمَّ قَرَأَ:{فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى(٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى(٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى(٧) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى(٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى(١٠)} [الليل: ٥ - ١٠]» (١).

إخوتي في الله، لقد قدر الله مقادير الخلائق حتى قيام الساعة، فَعَنْ أَبِي حَفْصَةَ قَالَ: قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ﷺ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ سَمِعْتُ. رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ الله الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ. يَا بُنَيَّ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي» (٢).

والله قد قدر مقادير الخلائق قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، فَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «كَتَبَ الله مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٦٤٧.
(٢) (صحيح) أخرجه (د) وصححه الألباني في ص.ج ٢٠١٨.

أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ» (١).

والله ♣ لا يجبر الخلائق على أعمالهم، قال الحسن البصري رحمه الله تعالى وهو من سادات التابعين: لو أجبر الله الخلق على الطاعة لأسقط عنهم الثواب، ولو أجبرهم على المعاصي لأسقط عنهم العقاب، ولو أهملهم لكان عجزا في القدرة، ولكن له فيهم المشيئة التى غيبها عنهم فإن عملوا بالطاعات؛ كانت له المنة عليهم.

فالعباد مخيرون ولكنهم لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله عليه، ولا يشاءون إلا أن يشاء الله، ولا يفعلون إلا بجعله إياهم فاعلين، وهذا مصداقا لقول الله تعالى:{إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى(٤) فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى(٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى(٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى(٧) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى(٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى(٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى(١٠)} [الليل ٤ - ١٠].

ولعل ما جاء في كتاب (الشريعة للإمام الأجري) ما فيه البيان والتوضيح في هذا الأثر الصحيح عن الحسن البصري، فعن خالد الحذاء قال: خرجت خرجة لي - أي سافر سفرا ثم عاد - ثم قدمت فقيل: إن الحسن - أي البصري من سادات التابعين - قد تكلم في القدر فأتيته، فقلت: يا أبا سعيد - أي كنية الحسن البصري -، آدم خُلِقَ للأرض أم للسماء؟ قال: ما هذا يا أبا منازل - أي كنية خالد الحذاء -؟ فقلت: إني أحب أن أعلمه، قال: للأرض، قلت: فلو اعتصم فلم يأكل من الشجرة؟ قال: لم يكن له بد من أن يأكل منها؛ لأنه للأرض خلق (٣٥).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (صحيح) أخرجه (م) وصححه الألباني في ص.ج ٤٤٧٤.

الدرس السابع والعشرون:

الولاء والبراء

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة الأعز والأذل، أخرج مسلم بسنده عن جَابِرَ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنْ الأَنْصَارِ فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلأَنْصَارِ وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ الله كَسَعَ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنْ الأَنْصَارِ فَقَالَ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ» فَسَمِعَهَا عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ فَقَالَ: قَدْ فَعَلُوهَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، قَالَ عُمَرُ: دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ فَقَالَ: «دَعْهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»(١). فأنزل الله تعالى في ذلك قوله:{يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ(٨)} [المنافقون: ٨].

وكان ابن هذا المنافق - وهو عبد الله بن عبد الله بن أبي - رجلاً صالحاً من الصحابة الأخيار، فتبرأ من أبيه، ووقف له على باب المدينة، واستل سيفه، فلما جاء ابن أبي قال له: والله لا تجوز من هاهنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ، فإنه العزيز وأنت الذليل، فلما جاء النبي ﷺ أذن له فخلي سبيله، وكان قد قال عبد الله بن عبد الله بن أبي: يا رسول الله، إن أردت قتله فمرني بذلك، فأنا والله أحمل إليك رأسه، فقال رسول الله ﷺ: «لا ولكن بر أباك وأحسن صحبته» (٢٦).

وهذا مصداقا لقول الله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٥٨٤.

وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إِنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣)} [التوبة: ٢٣].

هذا هو الولاء لأهل الإيمان والبراء من أهل الكفر والعصيان، فالولاء أصله الحب، والبراء أصله البغض، والولاء والبراء يمثل صورة عملية من صور التطبيق الواقعي لعقيدة التوحيد، ولا يصح للمؤمن دين إلا بموالاة أهل التوحيد، ومعاداة أهل الضلال والبراء منهم.

قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ} [آل عمران: ١١٨].

وفي الآية تحذير للمؤمنين من اتخاذ الكافرين أولياء بإطلاعهم على أسرارهم، فهؤلاء لا يَفْتُرون عن إفساد حالهم، وهم يفرحون بما يصيبهم من ضرر ومكروه، وقد ظهرت شدة البغض في كلام الكافرين، وما تخفي صدورهم من العداوة للمؤمنين أكبر وأعظم.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لأَبِي ذَرٍّ: «أَيُّ عُرَى الإِيمَانِ أَوْثَقُ؟» قَالَ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «الْمُوَالاةُ فِي الله، وَالْمُعَادَاةُ فِي الله، وَالْحُبُّ فِي الله، وَالْبُغْضُ فِي الله»(١).

إخوتي في الله، ينقسم المسلمون في معاملة الكفار لثلاثة أقسام وهم:

القسم الأول: ناصر لدين الله، مجاهد في سبيل الله، موال لأوليائه، معاد

لأعدائه، وهم القليلون عددا، الأعظمون أجرا عند الله.

القسم الثاني: خاذل لأهل الإسلام تارك لمعونتهم معتزل عن الكفار.

القسم الثالث:خارج عن الإسلام بمظاهرة الكفارة ومناصرتهم بالقول والعقل والاعتقاد، ومعاداة أهل الحق ومحاربتهم (٢٣).

ولقد نهى الله أن يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين إلا أن يكون المسلم مقهورا قال تعالى:{لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن

(١) (صحيح) أخرجه (طب) وصححه الألباني في ص.ج برقم ٢٥٣٩.

دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِّ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ الله نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِّ الْمَصِيرُ(٢٨)} [آل عمران: ٢٨].

فنهى سبحانه وتعالى عن اتخاذ الكافرين أولياء وأصدقاء وأصحاب من دون المؤمنين وأخبر أن من فعل ذلك فليس من الله في شيء وقال ابن جرير الطبري في قوله تعالى{فَلَيْسَ مِنَ اللهِّ فِي شَيْءٍ} أى فقد برئ من الله وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ودخوله الكفر، وقوله تعالى{إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً} أي إلا أن يكون المؤمن مقهورا معهم، لا يقدر على إظهار عداوتهم، لتعذيبهم له، فيظهر لهم الرضا بلسانه، وقلبه مطمئن بالإيمان بالله، ممتلئ بالعداوة والبغضاء لأعداء الله (٢٣).

ولقد نهانا الله تعالى عن موالاة أهل الكفر قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ الله عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ} [الممتحنة:١٣]، وقال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ الله لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١)} [المائدة:٥١].

وقال شيخ المفسرين الطبري رحمه الله تعالى: والصواب القول في ذلك عندنا أن يقال: أن الله تعالى نهى المؤمنين جميعا أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصارا وحلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله، وأخبر أنه من اتخذهم نصيرا وحليفا ووليا من دون الله ورسوله فإنه منهم في التحزب على الله وعلى رسوله والمؤمنين وأن الله ورسوله منه بريئان أ.هـ (٢٣).

وقال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاء وَاتَّقُواْ الله إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٥٧)} [المائدة:٥٧].

وينبغي أن نعلم أن الموالاة عند علماء الاصطلاح شيء والبر شيء آخر، فدعوة الإسلام إلى السماحة في معاملة بعض الكفار، والبر بهم لا يعني الموالاة لهم، فبسماحة الإسلام يتعامل المسلم مع الناس أجمعين على أساس العدل والاحترام المتبادل بدون محبة القلب للكفار أو مودة ما هم فيه من كفر(٢٣).

وينبغي الحذر كل الحذر من الاعتداء على الذميين والمعاهدين فَعَنْ عَبْدِ الله ابنِ عَمْرٍو ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا» (١).

وهناك استثناءات لا تنقض أصل البراء من الكافرين، فلا تعني البراءة من الكافرين حجب دعوة الإسلام عنهم وتركهم لما هم فيه من ضلال بل يحتم الإسلام على أهله دعوة الناس إلى الخير وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن قال تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ(١٢٥)} [النحل:١٢٥].

ولقد أَحَلَّ الشرع الزواج بالكتابية - أي اليهودية أو النصرانية - وأكل ذبيحة الكتابي فيجوز الأكل من ذبيحتهم وزواج نسائهم، ولا شك أن المودة التي تكون في قلب الزوج لزوجته هي من المودة الفطرية المستثناة.

وكذا الإحسان إليهم والبر بهم قال تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ الله عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(٨)} [الممتحنة:٨]، ويدخل في البر عيادة مرضاهم وقبول هداياهم والإهداء لهم والدعاء لهم بالهداية.

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ ﷺ قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ إِذْ عَاهَدَهُمْ فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ» (٢).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٩٩٥.

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٤٧٧، و(م) ١٠٠٣. واللفظ لمسلم.

الدرس الثامن والعشرون:

إن الحكم إلا لله

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة أخرجها البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَزَيْدِ بْنِ خَالِدٍ ﷺ قالا: إِنَّ رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: اقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ الله، وَقَالَ الآخَرُ وَهُوَ أَفْقَهُهُمَا: أَجَلْ يَا رَسُولَ الله فَاقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ الله وَأْذَنْ لِي أَنْ أَتَكَلَّمَ، قَالَ: «تَكَلَّمْ» قَالَ: إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا عَلَى هَذَا. قَالَ مَالِكٌ: وَالْعَسِيفُ الأَجِيرُ، زَنَى بِامْرَأَتِهِ فَأَخْبَرُونِي أَنَّ عَلَى ابْنِي الرَّجْمَ فَافْتَدَيْتُ مِنْهُ بِمِائَةِ شَاةٍ وَجَارِيَةٍ لِي ثُمَّ إِنِّي سَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ فَأَخْبَرُونِي أَنَّ مَا عَلَى ابْنِي جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ وَإِنَّمَا الرَّجْمُ عَلَى امْرَأَتِهِ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ الله، أَمَّا غَنَمُكَ وَجَارِيَتُكَ فَرَدٌّ عَلَيْكَ وَجَلَدَ ابْنَهُ مِائَةً وَغَرَّبَهُ عَامًا، وَأَمَرَ أُنَيْسٌ الْأَسْلَمِيَّ أَنْ يَأْتِيَ امْرَأَةَ الْآخَرِ فَإِنْ اعْتَرَفَتْ رَجَمَهَا فَاعْتَرَفَتْ فَرَجَمَهَا»[1]، هذا هو مفهوم الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله.

أخي الحبيب، تأمّل هذه الآيات الكريمات: قال تعالى:{وَمَن لَّمْ يَحْكُم بما أنزل الله فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة:٤٤]، وقال:{وَمَن لَّمْ يَحْكُم بما أنزل الله فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [المائدة:٤٥]، وقال:{وَمَن لَّمْ يَحْكُم بما أنزل الله فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [المائدة:٤٧]، فالحكم بغير ما أنزل الله من أعمال أهل الكفر، فالذين يبدلون حكم الله الذي أنزله في كتابه، فيكتمونه ويجحدونه ويحكمون بغيره معتقدين حله وجوازه فأولئك هم الكافرون، الظالمون، الفاسقون، وكذلك فمن لم يحكم بما أنزل الله فهؤلاء مؤمنون بالطاغوت

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٥٤٩، و(م) ١٦٩٧.

قال تعالى:{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا} [النساء:٦٠]، فجعل الله تعالى الذين يريدون التحاكم إلى غير ما أنزل الله تعالى، غير كافرين بالطاغوت، وهذا يعني أنهم مؤمنون بالطاغوت، ولهذا جعل إيمانهم بما أنزل الله تعالى زعما، ومعلوم أن الكفر بالطاغوت أحد ركني الشهادتين قال تعالى:{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ} [النحل:٣٦]، فالطاغوت كل ما يتخذ من دون الله تعالى من أرباب، أو آلهة، أو أنداد، وقال تعالى: {فَلاَوَرَبِّكَ لاَيُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَيَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا} [النساء:٦٥]، فقد أقسم الله تعالى بنفسه الكريمة أن هؤلاء لا يؤمنون حقيقة حتى يجعلوك حكمًا فيما وقع بينهم من نزاع في حياتك، ويتحاكموا إلى سنتك بعد مماتك، ثم لا يجدوا في أنفسهم ضيقًا مما انتهى إليه حكمك، وينقادوا مع ذلك انقيادًا تاماً، فالحكم بما جاء به رسول الله ﷺ من الكتاب والسنة في كل شأن من شؤون الحياة من صميم الإيمان مع الرضا والتسليم.

وقال تعالى:{إِنِ الْحُكْمُ إِلا لله أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلا إِياه ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} [يوسف:٤٠]، ولهذا كان أوّل أسباب الشقاء، التي وقعت في الوجود، الخروج عن حكمه سبحانه تعالى.

ولهذا نجد أن خطبة أبي بكر الصديق الأولى حين تولى الخلافة، قد وَضَعَت ميثاقاً عقدياً بين الأمة والحاكم، ويمكن تلخيصه في النقاط التالية:

١ - القرآن الكريم والسنة مصدر التشريع والدستور الناظم للدولة، وتجري محاسبة الخليفة عند مخالفتهما أو تجاوزهما من قبل الأمة أو ممثليها من أهل الحل والعقد، حيث يفقد الطاعة الشرعية، وهذا ما نص عليه البيان:أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم..

٢ - ممثلو الأمة هم الذين يختارون الخليفة وهم أهل الاختيار وهم من فقهاء الأمة وعلمائها.

٣ - الأمة مصدر السلطة وتملك سلطة المحاسبة والعزل، والحاكم بشر كأي فرد من أفراد الأمة، وليس معصوماً عن الخطأ، لذا لا بد من التصحيح له في حال وقوعه في الخطأ: أيها الناس أنا مثلكم، وإني لا أدري لعلكم ستكلفونني ما كان رسول الله يطيق، إن الله اصطفى محمداً على العالمين، وعصمه من الآفات، فإنما أنا مُتَّبع، ولست بمبتدع، فإن استقمت فاتبعوني، وإن زغت فقوموني.

٤ - أن يكون الحاكم صادقاً مع أمته، وإن كذب عليها فقد خانها فالصدق أمانة، والكذب خيانة.

٥ - المساواة والإنصاف بين الجميع دون النظر للضعف والقوة: الضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي منكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله.

إخوتي في الله، تعالوا بنا نتناول بعض الأنظمة المنتشرة في العالم وتقييم كل منها بما يوافق الشرع الإسلامي:

الديمقراطية: تعني اتخاذ أحكام البشر باعتبار أصوات غالب ممثليهم، شريعة بديلة عن شريعة الله تعالى، مهيمنة بأحكامها على الأقوال، والأفعال، والأفكار، وجميع السلوك الإنساني، والعلاقات الدولية الداخلية، والخارجية، فلها أنْ تحلّ ما حرّم الله، وتحرّم ما أحلّ الله تعالى، ويكون مصدر التشريع هو حكم الأغلبيّة بحسب العدّ المحض، الذي يعدّ الرؤوس ولا يزنها، فيجعل العاقل الحكيم المصلح، مساويا للجاهل الأحمق المفسد، والمؤمن الصالح الأمين، مكافئا للكافر الفاسق الخائن،..إلخ، فكلهم سواء في ميزان هذا الدين الجديد، فتُعدّ أصواتهم عدّا فحسب، ثم يُعرف بأكثر العدّ، الشرعُ الذي يجب أن يسيروا عليه، والنهج الذي يهديهم سواء السبيل! - كما يتفقون عليه -.

في حين أن الشورى في الإسلام هي النظام المقابل للديمقراطية وفي الشورى لا تمييز بين غني وفقير، فهي لعامة المسلمين، قال تعالى:{وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} [الشورى:٣٨]، قال الدكتور محمد عمارة فيما مختصره:

أن الشورى الإسلامية تقوم على الأسس التالية:

١ - الأمة هي مصدر السلطات وصاحبة السلطان في سياسة الدولة وتنظيم المجتمع وتنمية العمران.

٢ - الأمة تختار ممثليها العارفين بالواقع وبالشريعة معاً وهم أهل الاختيار، الذين يختارون رأس الدولة الإسلامية وكذلك أهل العقد والحل، الذين يطورون التشريع ليلائم الواقع الجديد.

٣ - الأمة، من وراء ممثليها، عليها وعليهم فريضة مراقبة حكومتها، ومحاسبتها، والأخذ على يديها وتغيير هذه الحكومة، إن هي فسقت، أو جارت، أو ضعفت عن النهوض، بما فوضت إليها من مهام!..

أما عن إبقاء الحرام حراماً والحلال حلالاً، فليس في ذلك انتقاص من حرية الأمة. وإنما هو التزام بالأطر الدينية المحققة لمصلحة الأمة كما رآها الشارع سبحانه وتعالى.

الليبرالية: تعنى الحرية، والليبراليَّة هي وجه آخر من وجوه العلمانيَّة بمعناها العام الذي هو التمرد على الدين والتحلل من الالتزام به، ولهذا فمعتنقوها يقصدون بها أن يكون الإنسان حراً في أن يفعل ما يشاء، ويقول ما يشاء، ويعتقد ما يشاء، ويحكم بما يشاء، بدون التقيد بشريعة إلهية، فالإنسان عند الليبراليين إله نفسه، وعابد هواه، غير محكوم بشريعة من الله تعالى، ولا مأمور من خالقه باتباع منهج إلهيّ ينظم حياته كلها، فإذن الليبراليَّة ما هي إلاّ وجه آخر للعلمانيَّة التي بنيت أركانها على الإعراض عن شريعة الله تعالى، والكفر بما أنزل الله تعالى، والصد عن سبيله، ومحاربة المصلحين، وتشجيع المنكرات الأخلاقيَّة، والضلالات الفكريَّة، تحت ذريعة الحريَّة الزائفة، والتي هي في حقيقتها طاعة للشيطان وعبودية له، هذه هي الليبراليّة، وحكمها في الإسلام هو نفس حكم العلمانيّة سواء بسواءقال تعالى:{قُلْ إِنَّ صَلاتِي ونُسُكِي وَمَحْيايَ وَمَماتِي لله رَبِّ العالَمِينَ لا شريك لَهُ وَبِذلِكَ أُمِرتُ وَأَنا أَوَّلُ المسلِمين (١٦٣)} [الأنعام ١٦٢، ١٦٣]، وكما قال تعالى:{ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمرِ فَاتَّبِعها وَلاتتَّبِع أَهواءَ الذِينَ لايَعلَمُون (١٨)} [الجاثية:١٨]، لذلك فإنَ

الليبرالية مناقضة تمام المناقضة لدين الإسلام، عقيدة وشريعة.

التعددية: هي فرع عن الليبرالية التي هي فرع عن العلمانية، والديمقراطية الغربية تجعل التعددية من صور الحرية التي هي أحد أركانها، والتعددية تعني أن يسمح في المجتمع بالاختلاف والتعدد في كلّ شيء، حتى لو كان هذا الاختلاف بين الحق والباطل، بل لايوجد في التعددية حق مطلق، وباطل مطلق، ولهذا ترى التعددية أن الاختلاف مهما كان هو في حد ذاته ظاهرة محمودة بإطلاق، تجب رعايتها، وتشجيعها، ومحاربة من يقف في طريقها، وحتى لو كان في المجتمع من يعبد إبليس نفسه، فيجب أن يسمح لهم في نظر التعددية بإظهار دعوتهم، وتمكينهم من دعوة الناس إليها، ونشر كل ما يزينها ويشجع على اعتناقها، وعلى الصعيد السياسي يجب أن يسمح لهم بتأسيس حزب سياسي يحمي معتقداتهم، ويسمح لهم بنشرها، في حين أن الله تعالى في الدين الإسلامي أمر الناس أن يقيموا دين الله وأن يجتمعوا عليه، ولا يتفرقوا قال تعالى:{شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ولا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ الله يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} [الشورى: ١٣]، والقرآن مليء بالأمر بالاجتماع على الحق ومدحه، وذم الافتراق عنه والتفرق فيه، والأمر بجهاد الباطل وأهله، وقد أمر الله تعالى بإنكار المنكر إن ظهر، وجعل ذلك من أعظم واجبات الدين، قال تعالى:{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِالله} [آل عمران: ١١٠] ومن هذا يتضح أن التعددية مناقضة تمام المناقضة لدين الإسلام، عقيدة وشريعة (٢٠) (١).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس التاسع والعشرون:
التمسك بالسنة والحذر من البدع

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة يرويها لنا يحيى بن عمرو بن سلمة الهمداني قَالَ: كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ قَبْلَ صَلاَةِ الْغَدَاةِ، فَإِذَا خَرَجَ مَشَيْنَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ فَقَالَ: أَخَرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَعْدُ؟ قُلْنَا: لاَ، فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعاً، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنِّى رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفاً أَمْراً أَنْكَرْتُهُ، وَلَمْ أَرَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِلاَّ خَيْراً. قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ - قَالَ - رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْماً حِلَقاً جُلُوساً يَنْتَظِرُونَ الصَّلاَةَ، فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ، وَفِى أَيْدِيهِمْ حَصًى فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِائَةً، فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِائَةً، فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً، وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً. قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئاً انْتِظَارَ رَأْيِكَ أَوِ انْتِظَارَ أَمْرِكَ. قَالَ: أَفَلاَ أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لاَ يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ. ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِى أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَصًى نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ. قَالَ: فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لاَ يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَىْءٌ، وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ، هَؤُلاَءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِى نَفْسِى فِي يَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِىَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ، أَوْ مُفْتَتِحِى بَابِ ضَلاَلَةٍ. قَالُوا: وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلاَّ الْخَيْرَ. قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ حَدَّثَنَا أَنَّ قَوْماً يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَايْمُ الله مَا أَدْرِى لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ. ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلِمَةَ: رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ

النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ [1].

إخوتي في الله، قال العلامة الألباني رحمه الله تعالى ويستفاد من هذا الحديث أن العبرة ليست بكثرة العبادة وإنما بكونها على السنة بعيدة عن البدعة وقد أشار إلى هذا ابن مسعود ﷺ بقوله أيضا: اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة، ومنها: أن البدعة الصغيرة بريد إلى البدعة الكبيرة.

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «سَيَلِي أُمُورَكُمْ بَعْدِي رِجَالٌ يُطْفِئُونَ السُّنَّةَ، وَيَعْمَلُونَ بِالْبِدْعَةِ، وَيُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ مَوَاقِيتِهَا»، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: إِنْ أَدْرَكْتُهُمْ كَيْفَ أَفْعَلُ؟ قَالَ: «تَسْأَلُنِي يَا بْنَ أُمِّ عَبْدٍ كَيْفَ تَفْعَلُ، لَا طَاعَةَ لِمَنْ عَصَى اللهَ» [2].

وقال العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى: فالعمل لا يقبله الله تبارك وتعالى إلا إذا توفر فيه شرطان: أن يكون خالصا لوجهه ♣، ويكون صالحا، ولا يكون صالحا إلا إذا كان موافقا للسنة غير مخالف لها، ومن المقرر عند عند أهل العلم أن كل عبادة مزعومة لم يشرعها لنا رسول الله ﷺ بقوله، ولم يتقرب هو بها إلى الله بفعله فهي مخالفة لسنته؟

وقال أيضا: والسنة على قسمين: سنة فعلية وسنة تركية، فما تركه رسول الله ﷺ من تلك العبادات فمن السنة تركها، وقد فهم هذا المعنى أصحابه ﷺ فكثر عنهم التحذير من البدع تحذيرا عاما كما هو مذكور في موضعه حتى قال ابن مسعود ﷺ : اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم عليكم بالأمر العتيق.

و مرجع البدع إلى أمرين: أحاديث ضعيفة، وأحاديث موضوعة لا أصل لها، واجتهادات صدرت من بعض المتأخرين بعضها مخالف للسنة العملية، وعادات وخرافات لا يدل عليها الشرع ولا يشهد لها عقل وإن عمل بها بعض الجهال واتخذوها شرعة لهم؟ أ.هـ.

وأمر البدعة خطير جدا لا يزال أكثر الناس في غفلة عنه ولا يعرف

(١) (صحيح) أخرجه (دارمي) صححه الألباني في س.ص المختصرة ٢٠٠٥.
(٢) (صحيح) أخرجه (هـ) وصححه الألباني في س.ص ٢/١٣٩.

ذلك إلا طائفة من أهل العلم وحسبك دليلا على خطورة البدعة قول رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ احتجَرَ - أي أبعد - التوبةَ عَلَى كُلِ صَاحبِ بدعةٍ»(١).

معاشر الإخوة، يقول إمام أهل السنة في عصره الإمام البربهاري رحمه الله تعالى: احذر من صغار المحدثات فإن صغار البدع تعود حتى تصير كبارا وكذلك كل بدعة أُحدِثت في هذه الأمة كان أولها صغيرا يشبه الحق فاغتر بذلك من دخل فيها ثم لم يستطيع المخرج منها فعظُمت وصارت دِينا يُدَان به فانظر رحمك الله كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة فلا تعجلن ولا تدخل في شيء منه، حتى تسأل وتنظر: هل تكلم فيه أحد من أصحاب الرسول ﷺ أو أحد من العلماء؟ فإن أصبت أثرا عنهم فتمسك به ولا تجاوزه لشيء ولا تختر عليه شيء فتسقط في النار (٦٨).

ولقد كان المسلمون في صدر الإسلام فرقة واحدة ولكن حدثت الفتن وتفرق المسلمون فأصبحوا فرقا متفرقة، ولقد أخبرنا الله تعالى بأن رسول الله بريء من هذه الفرق وحكمهم إليه ثم يخبرهم ويجازيهم بأعمالهم يوم القيامة، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ (١٥٩)} [الأنعام:١٥٩].

وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ»، قِيلَ يَا رَسُولَ الله مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «الْجَمَاعَةُ» (٢).

ففرقة الخوارج هم أول فرقة خالفت أهل السنة والجماعة، عظمت فتنتهم في أواخر خلافة عثمان وأثناء الفتنة بين علي ومعاوية، ولقد أُسست على أفكار ضالة: كتكفير علي وعثمان رضي الله عنهما، والتكفير بارتكاب

(١) (صحيح) أخرجه (ابن فيل طس هب الضياء) وصححه الألباني في ص.ج ١٦٩٩.
(٢) (صحيح) أخرجه (هـ وابن أبي عاصم و اللالكائي) وصححه الألباني في س.ص ١٤٩٢.

الكبائر، ووجوب الخروج على الإمام الجائر، فكفَّروا المسلمين واستحلوا دماءهم.

في حين أن الشيعة ظهروا في آخر عصر عثمان ﷺ، وانقسمت الشيعة إلى فرق كثيرة انحصرت اليوم في: الإسماعيلية، والزيدية، والإثنى عشرية وهي أكبرها وأكثرها عدداً، ومن أقوالهم: إن ما يدل على مذهبهم من آيات القرآن قد حذفها الصحابة وجاء في الكافي عن أبي بصير وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام، وقيل فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات ما فيه من قرآنكم حرف واحد، وقال شيخهم المجلسي: ومما عد من ضروريات دين الإمامة استحلال المتعة - زواج المتعة - وحج التمتع، والبراء من أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية، ومن لم يبرأ من أبي بكر وعمر وعثمان فهو عدو وإن أحب عليًّا، ولذلك يتعبدون الله سبحانه بعد كل صلاة بلعن الخلفاء الثلاثة وغيرهم من فضلاء الصحابة وبعض أمهات المؤمنين... (٧).

وفرقة القدرية ظهرت بعد ظهور الخوارج وقالوا: إن أعمال العباد ليست معلومة لله، ولا مكتوبة في اللوح المحفوظ، وأن الله لا يعلم بما يصنع الناس، إلا إذا وقع ذلك ولقد أدركوا أواخر عصر الصحابة.

ثم ظهرت فرقة المرجئة بعد ذلك وأدركت زمن كثير من التابعين، وهم الذين يقولون: إنه لا تضر المعصية مع الإيمان! تزني وتسرق وتشرب الخمر، وتقتل ما دمت مؤمنا، فأنت مؤمن كامل الإيمان وإن فعلت كل معصية!

أما فرق المعتزلة والجهمية قالوا قولا بين قول المرجئة وقول الخوارج قالوا: الذي يفعل الكبيرة ليس بمؤمن وليس بكافر، بل هو في منزلة بين منزلتين هذا في أحكام الدنيا، أما في الآخرة، فهو مخلد في النار! (٣٤).

أيها الإخوة الفضلاء، ألم يأن للذين آمنوا أن يتمسكوا بسنة الحبيب ﷺ الصحيحة ويعتزلوا كل الفرق التى ترد السنة، فلقد حثنا رسول الله ﷺ

بالتمسك بالسنة فقال: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ - أي الخلفاء الأربعة - تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[1].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (صحيح) أخرجه (د) ٤٦٠٧ وصححه الألباني.

oobeeilkamal@ll.com

الدرس الثلاثون:
تجنب كبائر الذنوب

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع ورع عطاء بن يسار: فعن عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم قال: خرج عطاء بن يسار وسليمان بن يسار حاجين من المدينة، ومعهما أصحاب لهم، حتى إذا كانوا بالأبواء نزلوا منزلا، فانطلق سليمان وأصحابه لبعض حاجتهم وبقي عطاء بن يسار قائما في المنزل يصلي.

قال: فدخلت عليه امرأة من الأعراب جميلة فلما رآها عطاء ظن أن لها حاجة فأوجز في صلاته، ثم قال: ألك حاجة؟ قالت: نعم. قال: ما هي؟ قالت: قم فأصب مني فإني قد ودقت - أي اشتقت للرجال - ولا بعل لي - أي ولا زوج لي - فقال: إليك عني - أي ابتعدي عني لا تحرقيني ونفسك بالنار، فجعلت تراوده عن نفسه ويأبى إلا ما يريد، قال: فجعل عطاء يبكي ويقول: ويحك إليك عني، قال: اشتد بكاؤه فلما نظرت المرأة إليه وما داخله من البكاء والجزع بكت المرأة لبكائه، قال: فجعل يبكي والمرأة بين يديه تبكي. فبينما هو كذلك إذ جاء سليمان من حاجته فلما نظر إلى عطاء يبكي والمرأة بين يديه تبكي في ناحية البيت بكى لبكائهما لا يدري ما أبكاهما وجعل أصحابهما يأتون رجلا رجلا كلما أتى رجل فرآهم يبكون جلس يبكي لبكائهم لا يسألهم عن أمرهم حتى كثر البكاء وعلا الصوت، فلما رأت الأعرابية ذلك قامت فخرجت.

قال: فقام القوم فدخلوا، فلبث سليمان بعد ذلك وهو لا يسأل أخاه عن قصة المرأة إجلالا له وهيبة، قال: وكان أسن منه، قال: ثم إنهما قدما مصر لبعض حاجتهما فلبثا بها ما شاء الله فبينا عطاء ذات ليلة نائم إذ استيقظ وهو يبكي وقال سليمان: مايبكيك يا أخي؟ قال: فاشتد بكاؤه. قال:

ما يبكيك يا أخي؟ قال: رؤيا رأيتها الليلة. قال، وما هي؟ قال: لا تخبر بها أحدا ما دمت حيا. رأيت يوسف النبي ﷺ في النوم فجئت أنظر إليه فيمن ينظر إليه فلما رأيت حُسْنهُ بكيت فنظر إليَّ في الناس فقال: ما يبكيك أيها الرجل؟ فقلت: بأبي أنت وأمي يا نبي الله، ذكرتك وامرأة العزيز وما ابتليت به من أمرها وما لقيت من السجن وفرقة يعقوب، فبكيت من ذلك وجعلت أتعجب منه. قال: فهلا تعجبت من صاحب المرأة البدوية بالأبواء؟ فعرفت الذي أراد فبكيت واستيقظت باكيا، قال سليمان: أي أخي وما كان من حال تلك المرأة؟ فقص عليه عطاء القصة فما أخبر بها سليمان أحدا حتى مات عطاء فحدث بها بعده امرأة من أهله قال: وما شاع هذا الحديث بالمدينة إلا بعد موت سليمان بن يسار رضي الله عنهما (٣٧).

والله سبحانه وتعالى يحذرنا في محكم كتابه من كبائر الذنوب فيقول سبحانه: {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الأنعام:١٥١].

وكذلك فإن النبي ﷺ يحذرنا من كبائر الذنوب في أكثر من حديث فعن أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلَاثًا قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِالله وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ» قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ (١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِالله، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ» (٢).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما عن كبائر الذنوب: هي إلى السبعين أقربُ

(١) (صحيح) أخرجه (خ)٢٥١١و(م) ١٤٣.
(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٦١٥، و(م) ١٤٥.

منها إلى السبع. والصحيح أنها لا تنحصر، وقد ذكر الحافظ الذهبي في كتاب الكبائر سبعين كبيرة، وكبائر الذنوب المنصوص عليها: القتل، والزنا، واللواط، وشرب الخمر، والسرقة، والغصب، والقذف، والنميمة، وشهادة الزور، واليمين الفاجرة، وقطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، والفرار عند الزحف، وأكل مال اليتيم، وخيانة الكيل والوزن، والكذب على رسول الله ﷺ، وسب الصحابة، وكتمان الشهادة، والرشوة، والدياثة وهي عدم غيرة الرجل على أهله، ومنع الزكاة، واليأس من رحمة الله، وأمن مكر الله، والظهار، وأكل لحم الخنزير، والميتة، وفطر رمضان بدون عذر شرعي، والغلول، ونشر الفساد في الأرض، والسحر، والربا، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونسيان القرآن بعد حفظه، وإحراق الحيوان بالنار، وامتناع المرأة من زوجها بلا سبب إلى غير ذلك من الكبائر (٤٧)، ويمكن الرجوع لكتاب (زاد المسلم اليومي من العلم الشرعي) لمعرفة المزيد من هذه الكبائر.

والله سبحانه وتعالى يبشر الذين يجتنبون كبائر الذنوب بمغفرة ذنوبهم قال تعالى: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ} [النجم:٣٢].

المعنى: الذين يبتعدون عن كبائر الذنوب والفواحش إلا اللمم، وهي الذنوب الصغار التي لا يُصِرُّ صاحبها عليها، أو يلمُّ بها العبد على وجه الندرة، فإن هذه مع الإتيان بالواجبات وترك المحرمات، يغفرها الله لهم ويسترها عليهم، إن ربك واسع المغفرة.

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، أَنَّ رَجُلاً أَصَابَ مِن امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَأَنْزَلَ الله ﷻ: {وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} [هود: ١١٤]، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ الله أَلِي هَذَا؟ قَالَ: «لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ» (١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَقُولُ: «الصَّلَوَاتُ الْخُمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ؛ إِذَا اجْتَنَبَ

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٥٠٣و (م) ٢٧٦٣ واللفظ للبخاري.

الْكَبَائِرَ»[1].

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عُثْمَانَ ﷺ، فَدَعَا بِطَهُورٍ فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاَةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا؛ إِلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنْ الذُّنُوبِ؛ مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ» [2].

وَعن ابن عباس ﷺ قال: ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنْ الزِّنَا أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ - أي إلى العورات والنساء الأجنبيات - وَزِنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ - أي النطق بالفحش وما يتعلق بالفجور - وَالنَّفْسُ تَتَمَنَّى وَتَشْتَهِي - أي تسول لصاحبها وتحركه - وَالْفَرْجُ - أي آلة الزنا الحقيقية - يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ - أي بفعل ما تمنته النفس - وَيُكَذِّبُهُ - أي بترك الفواحش ومقدماتها - » [3].

معاشر الإخوة، قال فضيلة الشيخ ابن جبرين : إن المعاصي كبيرها وصغيرها لا يجوز التهاون بها، فمقدمة السيئات تعتبر سيئات، والمقدمات التي هي الصغائر تعتبر من الذنوب، ولا يجوز أن يتهاون بها المسلم، فلا يتهاون بمقدمات هذه الذنوب وما أشبهها، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ» [4]، المثل واضح.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٣٣.
(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٢٢٨.
(٣) (صحيح) أخرجه (خ) ٥٨٨٩، و(م) ٢٦٥٧.
(٤) (صحيح) أخرجه (حم) وصححه الألباني في صت ٢٤٧١.

الدرس الحادي والثلاثون:
اجتناب صور الخيانة المختلفة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة حاطب بن أبي بلتعة. فَعَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ الله ﷺ وَأَبَا مَرْثَدٍ الْغَنَوِيَّ وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ وَكُلُّنَا فَارِسٌ - أي جميعنا نركب الخيل - قَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ - أي مكان بين مكة والمدينة -، فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ»، فَأَدْرَكْنَاهَا تَسِيرُ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا حَيْثُ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ، فَقُلْنَا: الْكِتَابُ، فَقَالَتْ: مَا مَعَنَا كِتَابٌ، فَأَنَخْنَاهَا - أي فأنخنا بعيرها -، فَالْتَمَسْنَا فَلَمْ نَرَ كِتَابًا، فَقُلْنَا: مَا كَذَبَ رَسُولُ الله ﷺ لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ، أَوْ لَنُجَرِّدَنَّكِ، فَلَمَّا رَأَتْ الْجِدَّ أَهْوَتْ إِلَى حُجْزَتِهَا - أي معقد إزارها مثل التكة -، وَهِيَ مُحْتَجِزَةٌ - أي شادة كساءها على وسطها - بِكِسَاءٍ فَأَخْرَجَتْهُ فَانْطَلَقْنَا بِهَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله، قَدْ خَانَ الله وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَدَعْنِي فَلأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟» قَالَ حَاطِبٌ: وَاللَّهِ مَا بِي أَنْ لاَ أَكُونَ مُؤْمِنًا بِالله وَرَسُولِهِ ﷺ؛ أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ الله بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلاَّ لَهُ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَتِهِ مَنْ يَدْفَعُ الله بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ وَلاَ تَقُولُوا لَهُ إِلاَّ خَيْرًا»، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ قَدْ خَانَ الله وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَدَعْنِي فَلأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؟» فَقَالَ: «لَعَلَّ الله اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الْجَنَّةُ، أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ؟» فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ، وَقَالَ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ [1].

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٧٦٢.

قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ(٢٧)} [الأنفال: ٢٧].

إن أمتنا الإسلامية تمرُّ في هذا الزمان بمحَنٍ عظيمة ونكَبات متلاحقة، لتعرّض الأمة لخيانات متعددة، تارة من أعدائها، وتارات من أبنائها.

والخيانة من سمات المنافقين، فالخائن بالضرورة منافق، وإلا فكيف سيُخفي خيانته إلا بالنفاق؟! فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ: «إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ» (١).

وأشد الناس فضيحة يوم القيامة هم الخائنون؛ لحديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعْرَفُ بِهِ» (٢)، هذا الخائنَ وإن اندسّ بين الناسَ ولم يفتضح أمره أمام عباد الله فأين يذهب يوم القيامة؟!

وكان رسول الله ﷺ يستعيذ من الخيانة فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْجُوعِ؛ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْخِيَانَةِ؛ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ» (٣).

والخيانة مذمومة حتى مع الخونة، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ» (٤).

معاشر الإخوة، لخيانة الأمانة صورٌ مختلفة نذكر منها:

١ - خيانة العقيدة: بأن يكون المسلم مطية لأعداء الله في تنفيذ مخططاتهم وما فيها من دمار للبلاد والعباد أو دليلاً لهم على عوراتها قال تعالى: {ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَاخِلِينَ} [التحريم:١٠]. والخيانة هنا هي خيانة الدين لا

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٣ و(م) ٥٩.
(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٦٥٦٥ و(م) ١٧٣٥.
(٣) (صحيح) أخرجه (حم م) وصححه الألباني في ص.ج ٢٦٣٧.
(٤) (صحيح) أخرجه (ت د دارمي) وصححه الألباني في مش ٢٩٣٤.

الفاحشة، فكانت امرأة نوح تطلع على سرّ نوح، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به وإذا استضاف لوط أحدًا أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء.

٢ - موالاة أعداء الله خيانة: كما في قصة حاطب بن أبي بلتعة التى ذكرت.

٣ - خيانة الشريعة: فلا تُطَبّق، بل تعزل عن حياة المسلمين.

٤ - خيانة الأعراض: ومن الخيانة في الأعراض النظرة الحرام، قال تعالى:{يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى الصُّدُورُ} [غافر:١٩]، قال ابن عباس: " هذا الرجل يدخل على أهل بيت وفيهم امرأة حسناء، فإذا غفلوا نظر إليها، وإذا فطنوا غضَّ بصره "، فكيف بالزنا؟! وقد حرم الله الزنا ونهى عن مقاربته ومخالطة أسبابه فقال:{وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً} [الإسراء:٣٢].

٥ - خيانة الكسب: والمسلم الحق يحرص على الحلال في مطعمه ومشربه، فلا غش ولا خداع ولا كذب، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً، فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ الله قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي» (١).

٦ - خيانة المنصب: بأن يستغلّ الرجل منصبه الذي عُيِّن فيه لجرّ منفعة إلى شخصه أو قرابته، فإن التشبّع من المال العام جريمة ولقد فشا هذا الأمر في الدول الإسلامية في الآونة الأخيرة بصورة مروعة فلا حول ولا قوة إلا بالله العليُّ العظيم، فَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ اسْتَعْمَلْنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا فَمَا أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ» (٢).

٧ - خيانة الرعية: قال تعالى:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ قُواْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ الله مَا

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٠٢.
(٢) (صحيح) أخرجه (د ك) وصححه الألباني في ص.ج ٦٠٢٣.

أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم:٦].

ولذا كان من الخيانة تضييع الزوجة والأولاد، فلا يؤدبهم ولا يأمرهم بالمعروف ولا ينهاهم عن المنكر، فَعَنْ مَعْقِلٍ ﷺ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ الله رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ الله عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»(١)، وأي غش - أيها المسلمون - أكبر من نصب الدش في المنزل وجعله متاحًا للقاصرين من الأطفال والنساء والمراهقين يختارون ما شاؤوا من القنوات الخارجة؟!

وإذا أهمل الزوج حق زوجته ولم يطعمها ولم يكسها مما اكتسى أو أفشى سرها فقد خان الأمانة، وإن أفشت الزوجة سر زوجها فقد خانت الأمانة، وإن دخل بيتها أحد بغير إذن زوجها فقد خانت الأمانة.

٨ - خيانة الجوارح: فمن لم يحفظ جوارحه عن معصية الله فقد خان الله.

٩ - خيانة أسرار الناس: بألا تحفظ حقوق المجالس التي تحضرها، فتدع لسانك يفشي أسرارها وينشر أخبارها.

١٠ - خيانة العالم العلم: فالعلم أمانة في عنق العلماء، وإن لم يفعلوا كانوا مرتكبين لأبشع صور الخيانة،{وَإِذْ أَخَذَ الله مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ} [آل عمران:١٨٧].

١١ - خيانة الودائع التي وصى الله بها من فوق سبع سماوات:{إِنَّ الله يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} [النساء:٥٨]، ويدخل في ذلك أداء الديون، فالمماطلة بها خيانة، انظروا إلى رسول الله كيف استخلف ابن عمه علي بن أبي طالب ليُسَلم إلى المشركين الودائع التي حفظوها عنده، مع أنهم آذوه واضطروه إلى ترك أرضه عند هجرته إلى المدينة (٧٢).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٦٧٣١ و(م) ١٤٢.

الدرس الثاني والثلاثون:
تجنب جميع المعاملات الربوية

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع رؤيا لرسول الله في المنام لآكلي الربا - ومن المعلوم أن رؤيا الأنبياء حق - أخرجها البخاري وآخرين عَنْ سَمُرَةَ ابْنِ جُنْدُبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخْرَجَانِي إِلَى أَرْضٍ مُقَدَّسَةٍ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ وَعَلَى وَسَطِ النَّهَرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَرِ فَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ: الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُ الرِّبَا (١).

وتصوروا واحداً يسبح في دم، أنت إذا وقعت نقطة دم في ثوبك تتقزز، كيف بواحد يسبح في الدم! (قلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا آكل الربا) هذا عذابه إلى يوم القيامة، فاتق الله في نفسك يا أخي!

أخي الحبيب: ينقسم الربا بصفة عامة لقسمين: ربا فضل وربا نسيئة.

ربا الفضل: معاوضة مال بمال بزيادة، أعطيك عشرة آلاف وتعطيني أحد عشر ألفاً أو مبلغ آخر، بزيادة مقدارها اثنان أو ثلاثة أو عشرة.. في المائة هذا ربا الفضل.

ربا النسيئة: لك مال عند إنسان وحان الأجل وما سدد هذا المال فتقول له: سدد ما عليك أو زد ولا أسألك، عشرة آلاف يجب عليك سدادها الآن أو أشكوك للجهة المسئولة.

فيقول لك: ما عندي.

---

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ١٩٧٩.

وتقول له: حسناً، فلتكن المدة سنةً أيضاً وتصير أحد عشر ألفاً هذا ربا الجاهلية، نَسِّئْ وَزِدْ، فلا تعمل بهذا العمل.

ومنه ربا العينة، وهي: أن يبيع السلعة بثمن مؤجل ويسترجعها بثمن حال، هذه اسمها عينة، لأنها حيلة على الربا (٦٦). فمثلا يبيع سعيد إلى سيد سيارة بخمسين ألفا يسددها بعد سنة ثم يشتريها سعيد مرة ثانية من سيد في الحال بثلاثين ألفا فيقبض سيِّد ثلاثين ألفا ويصبح في ذمته خمسون ألفا لسعيد يسددها بعد سنة.

أخي الحبيب، الربا من أخطر البلايا التي تهدد المجتمع المسلم، قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: ١٣٠].

وقال الله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ الله وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨)} [البقرة: ٢٧٨].

المعنى: يا من آمنتم بالله واتبعتم رسوله خافوا الله، واتركوا طلب ما بقي لكم من زيادة على رؤوس أموالكم التي كانت لكم قبل تحريم الربا، إن كنتم محققين إيمانكم قولا وعملا. ومن أنواع الربا ربا الفضل وربا العينة، فربا الفضل هو بيع النقود بالنقود أو الطعام بالطعام مع الزيادة كأن يباع كيلو تمر جيد بنصف كيلو تمر ردئ، وربا العينة هو أن يشتري المحتاج لنقود سلعة معينة بثمن معين إلى أجل معين ثم يبيعها ممن اشتراها منه بثمن فورى أقل فيكون الفرق هو فائدة المبلغ الذى أخذه آجلا وهذا البيع حرام ويقع باطلا.

فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ - أي انشغلتم بالرعي - وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ - أي انشغلتم بالزراعة - وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ الله عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»(١).

ولقد نهىَ رسول الله ﷺ الرجل يأخذ الهدية ممن يقرضه، فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ شَفَعَ لِأَخِيهِ بِشَفَاعَةٍ فَأَهْدَى لَهُ هَدِيَّةً عَلَيْهَا

(١) (صحيح) أخرجه (د) وصححه الألباني في ص.ج برقم ٤٢٣.

فَقَبِلَهَا فَقَدْ أَتَى بَابًا عَظِيمًا مِنْ أَبْوَابِ الرِّبَا»[١].

وربا النسيئة في هذه الأصناف الستة: الذهب والفضة والشعير والبر والتمر والملح فلابد أن يكون البدل فيهم في نفس المجلس وبنفس الوزن عند عمل مبادلة لنفس الصنف، أما إذا كانت المبادلة لسلعتين مختلفتين مثل البر والشعير مثلا فيمكن عدم تساوى الأوزان ولكن يجب التسليم في نفس المجلس وإلا صار ربا نسيئة.

فَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ، وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ - أي القمح -، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ، وَالْمِلْحُ بِالْمِلْحِ، مِثْلًا بِمِثْلٍ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ، يَدًا بِيَدٍ، فَإِذَا اخْتَلَفَتْ هَذِهِ الْأَصْنَافُ، فَبِيعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ إِذَا كَانَ يَدًا بِيَدٍ»[٢].

أخي الصائغ، احذر من أن تشتري أو تبيع الذهب أو الفضة مع عدم قبض الثمن جملة واحدة في المجلس، فمن المعلوم أنه لا يجوز تأجيل دفع الثمن وإلا يصبح الأمر ربا النسيئة، وكذا لا تَبِعْ ذهباً بذهب أو فضة بفضة مع أخذ فارق الثمن، ولكن اجعل ذلك على بيعتين كل منهما مستقلة عن الأخرى.

الأخت الفاضلة، احذري من أن تبيعي ذهبك القديم بذهب جديد وتدفعي الفرق للصائغ فإن كان لا بد فبيعي ذهبك القديم أولا ثم اقبضي الثمن وبعد ذلك لك أن تشتري من هذا الصائغ أو غيره ذهبا جديدا بسعر جديد، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «مَنْ بَاعَ بَيْعَتَيْنِ فِي بَيْعَةٍ فَلَهُ أَوْكَسُهُمَا أَوْ الرِّبَا»[٣].

معاشر الإخوة، للربا مخاطر كثيرة نذكر منها:

١) عقوبة آكل الربا أنه يسبح في نهر دم ويلقم في فيه بالحجارة يوم القيامة.

٢) أكل الربا من السبع الموبقات.

---

(١) (صحيح) أخرجه (حم د) وحسنه الألباني في ص.ج برقم ٦٣١٦.
(٢) (صحيح) أخرجه (حم م د ه) وصححه الألباني في ص.ج برقم ٣٤٤٥.
(٣) (حسن) أخرجه (د ك) وحسنه الألباني في ص.ج برقم ٦١١٦.

٣) أكل الربا يعرض صاحبه لحرب الله ورسوله، فيصير عدوا لله وسوله، قال الله تعالى: {فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ} [البقرة: ٢٧٩].

٤) آكل الربا وكل من أعان عليه ملعون، وَعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا وَمُوْكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ وَقَالَ: «هُمْ سَوَاءٌ» (١).

واللعن هو الطرد من رحمة الله تعالى.

٥) ظهور الربا سبب لإهلاك القرى ونزول مقت الله، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ، فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ كِتَابَ اللهِ ﷻ» (٢).

٦) مآل الربا إلى قلة وخسران، فَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مِنْ الرِّبَا إِلَّا كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ إِلَى قِلَّةٍ» (٣).

٧) الربا أشد من ستة وثلاثين زنية، فعن عبد الله بن حنظلة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «دِرْهَمٌ رِبًا يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَشَدُّ مِنْ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ زَنْيَةً» (٤).

٩) أدنى الربا ذنبا كمثل من زنا بأمه، وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الرِّبَا ثَلاثَةٌ وَسَبْعُونَ بَابَاً أَيْسَرُها مِثْل أَنْ يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ وإِنَّ أَرْبَى الرِبَا عِرْضُ الرَجُلِ المُسْلِمِ»، (٥).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٥٩٨.
(٢) (صحيح) أخرجه (طب ك) وصححه الألباني في ص.ج ٦٧٩.
(٣) (صحيح) أخرجه (هـ) وصححه الألباني في ص.ج ٥٥١٨.
(٤) (صحيح) أخرجه (حم طب) وصححه الشيخ الألباني في ص.ج ٣٣٧٥.
(٥) (صحيح) أخرجه (ك) وصححه الألباني في ص.ج ٣٥٣٩.

الدرس الثالث والثلاثون:
عدم أكل أموال الناس بالباطل

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة أروى بنت أويس مع سعيد بن زيد ﷺ أخرجها مسلم في صحيحه، فَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ ادَّعَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا فَخَاصَمَتْهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: وَمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا طُوِّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ»، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لاَ أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا فَقَالَ: اللهمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَعَمِّ بَصَرَهَا وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا قَالَ: فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، ثُمَّ بَيْنَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ (١).

أخي الحبيب، لقد نهانا الله تعالى عن أكل أموال الناس بالباطل، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيما (٢٩)} [النساء: ٢٩].

وهناك صور متعددة من أكل أموال الناس بالباطل منها:

١ - الغصب والسرقة، أي الاستيلاء على مال الغير بغير حق، ففيه ظلم وقهر وتعد، وهو محرم بالكتاب والسنة والإجماع لما فيه من أكل أموال الناس بالباطل، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ» (٢).

---

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٦١٠.

(٢) (صحيح) أخرجه (حم ق ن هـ) وصححه الألباني في ص.ج ٥٠٩٧.

٢ - إنكار الدين وعدم سداده مع القدرة على سداده، فقد ثبت عَنِ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ» (١)، والمطل هو: التأخير، يعني: إذا كان غنياً قادراً على الوفاء فمطله - يعني: تأخيره للوفاء - ظلم.

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ} [البقرة: ٢٨٢] الآية. لذا جاء في آية الدين أحكامٌ كثيرة نذكر منها: الحث على كتابة الدين قليلا أو كثيرا، والعفو عن عدم كتابة الدين في التجارة الحاضرة كأن يشترى المرء قنطارا تمرا أو سكرا على أن يسدد الثمن بعد يوم أو أيام مثلا، وجوب الإشهاد على البيع فمن باع دارا أوبستانا أو سيارة فليكتب ويشهد على الكتابة، ألا يضار كاتب ولا شهيد كأن يدعى الكاتب أو الشاهد إلى مكان بعيد أو إلى وقت يعطل فيه عمله.

وعَنْ صُهَيْب ﷺ : عَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَيُّمَا رَجُلٍ يَدِينُ دَيناً وهُوَ مُجْمِعٌ أَنْ لاَ يُوَفِّيَهُ إِيَّاهُ، لَقِيَ اللهَ سَارِقاً» (٢).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ» (٣).

٣ - الغلول، نهانا الله تعالى ورسوله الكريم عن الغلول، قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ (١٦١)} [آل عمران: ١٦١].

المعنى: وما كان لنبيٍّ أن يَخُونَ أصحابه بأن يأخذ شيئًا من الغنيمة غير ما اختصه الله به، ومن يفعل ذلك يأت حاملا له يوم القيامة؛ ثم تُعطى كل نفس جزاءَ ما كسبت دون ظلم.

٤ - الاحتكار، حبس ما يحتاجه الناس لرفع ثمنه عليهم إضرارا بهم واستغلالا لحاجتهم واضطرارهم، فعن مَعْمَر ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «مَنِ احْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِئٌ»(٤). ولا نتسهين بكلمة خاطئ فلقد قال تعالى عن

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٢١٦٦، و(م) ١٥٦٤.
(٢) (حسن صحيح) أخرجه (هـ) ١٩٥٤ وقال الألباني حسن صحيح.
(٣) (صحيح) أخرجه (م) ٨٨٦.
(٤) (صحيح) أخرجه (م) ١٦٠٥.

فرعون وهامان وجنودهما: {إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ} [القصص:٨].

٥ - الرشوة، أخذ الرشوة والهدية، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي» (١).

٦ - التجارة في المواد المحرمة والضارة كالخمر والميتة والخنزير والأصنام، ومن ذلك سائر المخدرات الحديثة، وتجارة السلاح وتهريبه، وتجارة الأطفال والنساء والبغاء والسهرات الحمراء والرقص والتمثيل والغناء والموسيقى غالبا، والأشرطة المخلة بالآداب، وبيع الأشياء المباحة لمن يعلم أنه يستخدمها في الحرام، ومما يلحق بالمخدرات الأدخنة والقات (٥٨).

٧ - أكل مال اليتيم، فلقد نهانا رسول الله ﷺ عن أكل مال اليتم بغير الحق، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ: وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ» (٢).

٨ - بيع الغرر، وقد جاء النهي عن بيع الغرر. فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ بَيْعِ الْغَرَرِ (٣).

ويدخل في بيع الغرر المنهي عنه إجماعاً أنواع كثيرة من البيوع شاع التعامل بها في الوقت الحاضر، كبيع البائع شيئا لا يملكه، وقد جاء النهي عنه ما جاء عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، يَأْتِينِي الرَّجُلُ فَيُرِيدُ مِنِّي الْبَيْعَ لَيْسَ عِنْدِي أَفَأَبْتَاعُهُ لَهُ مِنَ السُّوقِ؟ فَقَالَ: «لَا تَبِعْ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ» (٤)، كما يدخل في بيع الغرر بيع الثمار في الحقول والحدائق قبل أن يبدو صلاحها، ولذلك نهى النبي ﷺ عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها

(١) (صحيح) أخرجه (حم د ت ه) وصححه الألباني في ص.ج برقم ٥١١٤.
(٢) (صحيح) أخرجه (خ)٢٦١٥.
(٣) (صحيح) أخرجه (د) ٣٣٧٦ وصححه الألباني.
(٤) (صحيح) أخرجه (حم ٤) وصححه الألباني في ص.ج ٧٢٠٦.

إلا أن يشترط القطع في الحال، ونهى عن بيع السنبل حتى يبيّض ويأمن العاهة، وَقَالَ رسول الله ﷺ: «إِنْ لَمْ يُثْمِرْهَا الله فَبِمَ يَسْتَحِلُّ أَحَدُكُمْ مَالَ أَخِيهِ»[1].

٩ - المقامرة، هي الميسر المنهى عنه بنص القرآن، وقد كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل أي يقامره على أهله وماله، فأيهما قمر صاحبه أى غلبه ذهب بماله وأهله فنزلت آية النهي، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: ٩٠]، فكل معاملة يتحقق فيها معنى المقامرة أو المراهنة فهي حرام.

١٠ - الغش، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ مِنْ طَعَام، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً فَقَالَ: «يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ مَا هَذَا؟» قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ - أي المطر - يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ! ثُمَّ قَالَ: مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا»[2].

١١ - بيع العربون، والمراد به أن يشتري الشخص شيئاً فيدفع إلى البائع من ثمن ذلك المبيع شيئاً على أنه إن تم العقد بينهما كان ذلك المدفوع من الثمن، وإن لم يتم العقد صار المدفوع من حق البائع ولا يطالبه المشتري بشيء، وقد ذهب جمهور الفقهاء إلى عدم صحة بيع العربون، لأن بيع العربون فيه شرط فاسد، لما يترتب عليه أكل أموال الناس بالباطل، حيث لم تطب نفس المشتري بترك بعض ماله دون عوض أو مقابل مما يترتب عليه وقوع الشجار بين الناس.

١٢ - بيع النجش، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ: «نَهَى عَنْ التَّلَقِّي لِلرُّكْبَانِ - أي يستقبل بائعو السوق أهل البادية للشراء منهم قبل دخول السوق -، وَأَنْ يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ - أي لا يكون له سمسارا -، وَأَنْ تَسْأَلَ الْمَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا، وَعَنْ النَّجْشِ - أي يزيد في ثمن السلعة وهو لا يرغب في شرائها وإنما ليخدع غيره -، وَالتَّصْرِيَةِ - أي ترك الحيوان دون حلب

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٥٥٥.
(٢) (صحيح) أخرجه (ت) وصححه الألباني في ص.ج ٥٨١١.

أياما ليجتمع اللبن في الضرع ويخدع المشتري بكثرة اللبن -، وَأَنْ يَسْتَامَ الرَّجُلُ عَلَى سَوْمِ أَخِيهِ»[1].

١٣ - بيع الرجل على بيع أخيه، ولا خلاف بين الفقهاء في أنه إذا باع الرجل على بيع أخيه، أو اشترى على شرائه فإن فِعْلَهُ هذا محرم ويكون آثماً للحديث السابق، وينبغي أن يفهم أن حرمة هذا البيع تكون بعد إتمام البيع واتفاق كلٍّ من البائع والمشتري، أما أثناء البيع كأن يتم المزايدة على ثمن السلعة بين مجموعة من المشترين فلا بأس (٢).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٥١٥.

الدرس الرابع والثلاثون:
عدم تتبع خطوات الشيطان

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة راهب عبد الله ستين سنة ثم فتنه الشيطان، قال ابن كثير في تفسيره قال ابن جرير: عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية{كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ} [الحشر:١٦]، قال: كانت امرأة ترعى الغنم وكان لها أربعة إخوة، وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب، قال: فنزل الراهب ففجر بها فحملت، فأتاه الشيطان فقال له: اقتلها ثم ادفنها فإنك رجل مصدق يسمع قولك، فقتلها ثم دفنها قال: فأتى الشيطان إخوتها في المنام، فقال لهم: إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم، فلما أحبلها قتلها ثم دفنها في مكان كذا وكذا، فلما أصبحوا، قال رجل منهم: والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدري أقصها عليكم أم أترك؟ قالوا: لا بل قصها علينا. قال: فقصها، فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك، فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك، قالوا: فوالله ما هذا إلا لشيء قال: فانطلقوا فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب، فأتوه فأنزلوه ثم انطلقوا به فلقيه الشيطان، فقال إني أنا الذي أوقعتك في هذا ولن ينجيك منه غيري، فاسجد لي سجدة واحدة وأنجيك مما أوقعتك فيه، قال: فسجد له، فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه وأخذ فقتل، وكذا روي عن ابن عباس وطاووس ومقاتل ابن حيان نحو ذلك، واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصا فالله أعلم.

ولقد أمر الله ♣ عباده المؤمنين بالعمل بكل شرائع الإسلام وعدم تتبع طرق الشيطان فقال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٠٨)} [البقرة:٢٠٨].

وحذر سبحانه وتعالى من أن نسلك طرق الشيطان لأنه يأمر بالفحشاء

والمنكر قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ} [النور:٢١].

معاشر الإخوة، لقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من الشيطان، قال تعالى:{إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [فاطر:٦] وللشيطان على بني آدم مداخل متنوعة نذكر منها:

١ - يَعِد أصحابه الفقر إذا أنفقوا في سبيل الله ويأمرهم بالفحشاء قال تعالى:{الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٨)} [البقرة:٢٦٨].

٢ - يخوف أولياءه من القتل عند الجهاد قال تعالى:{إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٥)} [آل عمران:٢٧٥].

٣ - يزين لأوليائه الرياء عند الانفاق في سبيل الله. قال تعالى:{وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاء قَرِيناً (٣٨)} [النساء:١٦].

٤ - يزين لأوليائه التحاكم بغير شرع الله. قال تعالى:{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً(٦٠)} [النساء:٦٠].

٥ - يشكك أولياءه في دين الإسلام ليردهم إلى الكفر قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ} [محمد:٢٥].

٦ - يستحوذ على أولياءه لينسيهم ذكر الله، قال تعالى:{اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩)} [المجادلة:١٩].

٧ - يعد ويمني أولياءه بطول الأمل وبالوعود الكاذبة، والأماني

الباطلة الخادعة قال تعالى:{يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً (١٢٠)} [النساء:١٢٠].

٨ - يزين لأوليائه شرب الخمر ولعب القمار وعبادة الأصنام واستخدام القداح في الاستخارة وغير ذلك من الآثام ليوقع بين أوليائه العداوة والبغضاء ويصرفهم عن الصلاة. قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠)} [المائدة:٩٠].

إخوتي في الله، يمكن التحرز من الشيطان بالمحافظة على أذكار اليوم والليلة نذكر من ذلك ما يلي :

١ - فَعند قراءة القرآن، بقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. قال تعالى:{فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨)} [النحل:٩٨].

٢ – وعند الدخول إلى البيت، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :«إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ الله عِنْدَ دُخُولِهِ، وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرْ الله عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرْ الله عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ» (١).

٣ – وعند الخروج من البيت، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ الله تَوَكَّلْتُ عَلَى الله لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِالله ، فَيُقَالُ لَهُ: كُفِيتَ وَهُدِيتَ وَوُقِيتَ، فَيَلقَى الشَّيْطَانُ شَيطَانًا آخَرَ فَيَقُولُ لَهُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ» (٢).

٤ – وعند الهم على اقتراف المعاصي، يمكن دفع الشيطان إذا وسوس لاقتراف المعاصي بالاستعاذة بالله تعالى منه. قال تعالى:{وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠)} [الأعراف:٢٠٠].

٥ – وعند النوم، فليقرأ آية الكرسي فإنه لا يزال عليه من الله حافظ ، قال تعالى :{اللهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٠١٨.
(٢) (صحيح) أخرجه (د ن حب) وصححه الألباني في صت ١٦٠٥.

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥)} [البقرة :٢٥٥] ، لحديث أبي هريرة الطويل.

٦ - وعند الفزع من النوم، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «إِذَا فَزِعَ أَحَدُكُمْ فِي النَّوْمِ فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ» (١).

٧ - وعند القيام من النوم، لقول النبي ﷺ : «إِذَا اسْتَيْقَظَ أُرَاهُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَتَوَضَّأَ فَلْيَسْتَنْثِرْ ثَلَاثًا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيْشُومِهِ - أنفه -» (٢)

٨ - وعند الدخول إلى الخلاء، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ : «إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ قَالَ: اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ» (٣)

٩ - وعند الصلاة، بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم مع التفل جهة اليسار، وترك الالتفات في الصلاة، ومنع من يريد المرور بين أيدينا في الصلاة، والسجود عند المرور بآية سجود، وسجود سجدتي سهو عند السهو في الصلاة، وترك الصلاة عند شروق الشمس وعند غروبها.

١٠ - وعند التثاؤب، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَضَعْ يَدَهُ عَلَى فِيهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مَعَ التَّثَاؤُبِ» (٤).

١١ - عند الصباح والمساء، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنْ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ» (٥).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (حسن) أخرجه (ت) وحسنه الألباني في ص.ج ٧٠١.
(٢) (صحيح) رواه (ق) وصححه الألباني في مش ٣٩٢.
(٣) (صحيح) أخرجه (خ)١٤٢ و(م) ٣٧٥.
(٤) (صحيح) رواه (حم ق د) وصححه الألباني في ص.ج ٤٢٦.
(٥) (صحيح) أخرجه (خ)٣١١٩ و(م)٢٦٩١.

* * *

الدرس الخامس والثلاثون:
تحري الحلال في المطعم والمشرب والملبس

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع ورع أبي بكر الصديق ﷺ وتحريه في أكل الحلال وتجنب الحرام، أخرج البخاري في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ: كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلاَمٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ الْغُلاَمُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لِإِنْسَانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَا أُحْسِنُ الْكِهَانَةَ إِلاَّ أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيَنِي، فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ (١).

ولقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بأكل الحلال الطيب وبين ما حرم من الأطعمة والأشربة في آيات مختلفة، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [المائدة:٨٧]، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ للهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [البقرة:١٧٢].

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(٩٠)} [المائدة:٩٠].

المعنى: يا أيها الذين آمنوا إن الخمر، والقمار مما فيه عوض من الجانبين، وصدٌّ عن ذكر الله، والأنصاب أي الحجارة التي كان المشركون يذبحون عندها تعظيمًا لها، وما ينصب للعبادة تقربًا إليه، والأزلام: وهي القِداح التي يستقسم بها الكفار قبل الإقدام على الشيء، أو الإحجام عنه،

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٦٢٩.

إن ذلك كله إثمٌ مِن تزيين الشيطان، فابتعدوا عن هذه الآثام، لعلكم تفوزون بالجنة.

وقال تعالى:{حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٣)} [المائدة:٣].

المعنى: يا أيها الذين آمنوا حرَّم الله عليكم الميتة، وهي الحيوان الذي تفارقه الحياة بدون ذكاة - أي بذبحه ذبحا غير شرعيا -، وحرَّم عليكم الدم السائل المُراق، ولحم الخنزير، وما ذُكِر عليه غير اسم الله عند الذبح، والمنخنقة التي حُبِس نَفَسُها حتى ماتت، والموقوذة وهي التي ضُربت بعصا أو حجر حتى ماتت، والمُتَرَدِّية وهي التي سقطت من مكان عال أو هَوَت في بئر فماتت، والنطيحة وهي التي ضَرَبَتْها أخرى بقرنها فماتت، وحرَّم الله عليكم البهيمة التي أكلها السبُع، كالأسد والنمر والذئب، ونحو ذلك. واستثنى سبحانه مما حرَّمه من المنخنقة وما بعدها ما أدركتم ذكاته قبل أن يموت فهو حلال لكم، وحرَّم الله عليكم ما ذُبِح لغير الله على ما يُنصب للعبادة من حجر أو غيره، وحرَّم الله عليكم أن تطلبوا عِلْم ما قُسِم لكم أو علم مالم يقسم لكم بالأزلام أي القداح التي كانوا يستقسمون بها إذا أرادوا أمرًا قبل أن يقدموا عليه، والآن انقطع أمل الكفار في أن ترتدوا عنه إلى الشرك بعد أن نصَرْتُكم عليهم، فلا تخافوهم وخافوني واليوم أكملت لكم دينكم وهو دين الإسلام بتحقيق النصر وإتمام الشريعة، وأتممت عليكم نعمتي بإخراجكم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإيمان، ورضيت لكم الإسلام دينًا فالزموه، ولا تفارقوه. فمن اضطرَّ في مجاعة إلى أكل الميتة من غير هوى لذلك فله تناوله، فإن الله غفور رحيم.

ويتناول المضطر من الميتة القدر الذي يحفظ حياته ويقيم أوده، وكذا يجوز تناول الخمر في حالة الاضطرار، وهذا من باب الضرورات تبيح

المحظورات، ونهي رسول الله نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع وعن أكل كل ذي مخلب من الطير، نهى عن أكل لحوم الحمر الأهلية، نهى عن أكل الجلالة وألبانها والجلالة هي التي تأكل العذرة - أي النجاسات - من الإبل والبقر والغنم والدجاج والأوز وغيره فإذا حبست بعيدة عن العذرة زمنا وعلفت طاهرا، فطاب لحمها حلت، لأن العلة التغيير وقد زالت، واللحوم المستوردة من خارج البلاد الإسلامية يشترط فيها أن تكون من اللحوم التي أحلها الله والتى ذكيت زكاة شرعية - أي ذبحت ذبحا شرعيا -.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّا نَرْكَبُ الْبَحْرَ وَنَحْمِلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنْ الْمَاءِ فَإِنْ تَوَضَّأْنَا بِهِ عَطِشْنَا أَفَنَتَوَضَّأُ بِمَاءِ الْبَحْرِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله: «هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ» (١)، ونخلص من هذا الحديث أن ماء البحر طاهر وميتته حلال.

معاشر الإخوة، إن من فضائل إطابة المطعم والمشرب استجابة الدعاء، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الله طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ الله أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون: ٥١]، وَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [البقرة: ١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِك» (٢).

فهذا الرجل جمع أسباب إجابة الدعاء ولكن لم يُسْتَجَبْ له لأكله الحرام.

أخي الحبيب، إن في تحري الحلال وترك الحرام فوائد عظاماً نذكر منها:

١ - أكل الحلال صلاح للقلوب، وأكل الحرام من أخطر مهلكات القلوب.

(١) (صحيح) أخرجه (د) ٨٣ وصححه الألباني.
(٢) (صحيح) أخرجه (م) ١٠١٥.

٢ - أكل الحلال نجاة من الهلاك، قال سهل بن عبد الله: النجاة في ثلاثة: أكل الحلال، وأداء الفرائض، والاقتداء بالنبي ﷺ، وقال: ولا يصح أكل الحلال إلا بالعلم، ولا يكون المال حلالا حتى يصفو من ست خصال: الربا، والحرام، والسحت، والغلول، والمكروه، والشبهة.

٣ - ومن أكل الحرام حُرم لذة الإيمان فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبا.

٤ - ما نبت من حرام فالنار أولى به، فَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «يا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ إِنَّهُ لَا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ» (١).

أما ترى أن هذا هو زماننا ورب العزة، أما ترى تكالب الناس من أجل تحصيل مغريات الدنيا التي تتفتح عليها أعينهم ليل نهار، فلا يبالون بشيء سوى جمع المال من أي وجه، حلال أو حرام لا يهم، المهم هو جمع المال للحصول على محبوباته من المحمول والدش والسيارات الفارهة.. إلخ.

ومن أجل ذلك تعقدت الأمور، وصار الناس في حيرة من أمرهم، فما يمر يوم إلا وتجد من يسألك عن هذا الذي يبيع الدخان أو الخمور أو يعمل في شركة سياحة أو يعمل في بنك ربوي أو يتعامل بالربا، أو الذي بنى ثروته من البداية بتجارة المخدرات ويريد أن يتوب ولا يعلم ماذا يصنع في ماله، وذاك الذي يعمل كوافيرا أو يبيع ملابس النساء العارية التي يعلم أن التي ستلبسها لتفتن بها شباب المسلمين في الشوارع، وهذا الذي يعمل في السينمات والمسارح..إلخ.

ومن المؤسف والمخجل أنك تستمع للأولاد وهم لا يدرون كيف يأكلون من مال أبيهم وهم يعلمون أنه حرام، وتجدك في كل مرة تبحث لهؤلاء عن مخرج وقد ضيق الناس على أنفسهم سبل الخير والحلال، ومن هنا شاعت الفتاوى عن المال المختلط وأحكامه وغيرها مما هو على هذه الشاكلة، أما كان السبيل رحبا واسعا فضيقتموه باتباع الهوى واللهث وراء المال من غير وجه حله،{أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ(٤) لِيَوْمٍ

(١) (صحيح) أخرجه (ت)٦١٤ وصححه الألباني.

عَظِيمٍ(٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ(٦)} [المطففين: ٤ - ٦] (٦٣).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

oobeeilkamal@ll.com

الدرس السادس والثلاثون:
وقاية النفس والأهل من النار

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة سعيد بن المسيب هذا التابعى الجليل والتى وردت في كتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء يقول: عن أبي وداعة قال: كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدنى أياما فلما جئته قال: أين كنت؟ قلت:توفيت أهلي فاشتغلت بها، فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها، قال: ثم أردت أن أقوم فقال: هل استحدثت امرأة؟ فقلت: يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة، فقال: أنا، فقلت: أو تفعل؟ قال: نعم، ثم حمد الله تعالى وصلى على النبي ﷺ وزوجني على درهمين أو قال: ثلاثة - قال: فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح فصرت إلى منزلى وجعلت أتفكر ممن آخذ وممن أستدين فصليت المغرب وانصرفت إلى منزلي واسترحت وكنت وحدي صائما فقدمت عشائي أفطر. كان خبزا وزيتا فإذا بآت يقرع، فقلت: من هذا؟ قال:سعيد، قال: فتفكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب، فإنه لم ير أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد، فقمت فخرجت فإذا بسعيد بن المسيب فظنت أنه قد بدا له، فقلت: يا أبا محمد ألا أرسلت إليَّ فآتيك؟ قال: لأنت أحق أن تؤتى، قال: قلت: فما تأمر؟ قال: إنك كنت رجلا عزبًا فتزوجت، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك فإذا هي قائمة من خلفه في طوله، ثم أخذها بيدها فدفعها بالباب ورد الباب، فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت الباب، ثم قدمتها إلى القصعة التى فيها الزيت والخبز، فوضعتها في ظل السراج لكي لا تراه ثم صعدت إلى السطح، فرميت الجيران، فجاءوني فقالوا: ماشأنك؟ قلت: ويحكم! زوجني سعيد بن المسيب اليوم وقد جاء عليَّ غفلة، فقالوا: سعيد ابن المسيب زوجك؟ قلت:

نعم، وها هي في الدار، قال: فنزلوا هم إليها وبلغ أمي فجاءت، وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها لك ثلاثة أيام، قال: فأقمت ثلاثة أيام ثم دخلت بها فإذا هي من أجل الناس، وإذا هي أحفظ الناس لكتاب الله وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ، وأعرفهم بحق الزوج قال: فمكثت شهرا لا يأتيني سعيد ولا آتيه، فلما كان قرب الشهر أتيت سعيدا وهو في حلقته فسلمت عليه فرد على السلام ولم يكلمني حتى تقوض أهل المجلس، فلما لم يبق غيري، قال: ما حال ذلك الإنسان، قلت: خيرا يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو، قال: إن رابك شيء، فالعصا فانصرفت إلى منزلي، فوجه إليَّ بعشرين ألف درهم، قال عبد الله بن سليمان: وكانت بنت سعيد بن المسيب خطبها عبد الملك بن مروان - أي أمير المؤمنين - لابنه الوليد بن عبد الملك حين كتب العهد لابنه - فأبى سعيد أن يزوجه، فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف.

وهذا مصداقا لقول الله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم:٦].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّهُ: سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[1].

معاشر الإخوة، فيما يلي قَبس من الهدي النبوي لوقاية الأهل والنفس:

١ - أن يأمر أهل بيته بالصلاة، قال تعالى:{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (١٣٢)} [طه: ١٣٢].

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٢٧٨، و(م) ١٨٢٩.

عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ » (١).

٢ - أن يوفر لأهل بيته الطعام الطيب محتسبا الأجر عند الله، فَعَنِ ابْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ» (٢).

٣ - أن يعتني بتوجيه أولاده للسوك الحسن، فَعَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ ﷺ قَالَ: كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ الله ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ : «يَا غُلَامُ سَمِّ الله، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ» (٣).

٤ - أن يهتم بتعليم أولاده القرآن الكريم، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ فَيُلْبَسُ تَاجَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ فَيَرْضَى عَنْهُ فَيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَارْقَ وَتُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً» (٤).

٥ - أن يهتم بإيقاظ أهله لصلاة الليل، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالاَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ الله كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ» (٥).

٦ - أن يأمر أهله بارتداء الحجاب الشرعي، فَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ قَدْ حَرَّمَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِمُ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَالْعَاقُّ، وَالدَّيُّوثُ الَّذِي يُقِرُّ فِي أَهْلِهِ الْخُبْثَ» (٦).

٧ - أن يوجه أهله لكل خصال الخير، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «إِنَّ الدَّالَّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ» (٧).

---

(١) (حسن) أخرجه (د) وحسنه الألباني في مش ٥٧٢.
(٢) (حسن) أخرجه (حم د ك هق) وحسنه الألباني في ص.ج ٤٤٨١.
(٣) (صحيح) أخرجه (خ) ٥٠٦١، و(م) ٢٠٢٢.
(٤) (صحيح) أخرجه (ت ك) وصححه الألباني في ص.ج ٨٠٣٠.
(٥) (صحيح) أخرجه (د ك) وصححه الألباني في ص.ج ٦٠٣٠.
(٦) (صحيح) أخرجه (حم) وصححه الألباني في ص.ج ٣٠٥٢.
(٧) (صحيح)أخرجه (البزار) وصححه الألباني في ص.ج ٣٣٩٩.

٨ - أن يعتني بدوام ذكر الله في بيته، فَعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»(١).

٩ - أن يحث أهله لقراءة القرآن في البيت، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اقرؤوا سورة البقرة في بيوتكم فإن الشيطان لا يدخل بيتا يقرأ فيه سورة البقرة»(٢).

١٠ - أن يحث أولاده على صلة الرحم، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «صِلَةُ الرَّحِمِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ»(٣).

١١ - أن يحث أولاده على مرافقة الصالحين، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»(٤).

١٢ - أن يعلم أهله كيف يكون التصرف عند مرض أحد أفراد الأسرة وذلك بثلاثة أشياء، بالدعاء، ثم بالصدقة، ثم بالأخذ بالأسباب مع التيقن على رب الأسباب وعدم التيقن على الأسباب ثم يذهب للطبيب قال تعالى:{وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠)} [الشعراء:٨٠]، وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ: «دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ»(٥).

١٣ - أن يأمر نساء بيته بالتحجب وعدم العري والتبرج عملا بقول الله تعالى:{وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى} [الأحزاب ٣٣]، والتبرج يكون بعدة أمور: إما بخلع الحجاب، وإظهار المرأة شيئاً من بدنها أمام الرجال الأجانب عنها، أو تبدي المرأة شيئاً من زينتها المكتسبة، أو بتثنّى المرأة في مشيتها وتبخترها وتكسّرها أمام الرجال، أو بالخضوع بالقول والملاينة بالكلام، أو بالاختلاط بالرجال وملامسة أبدانهن أبدان الرجال، بالمصافحة والتزاحم في المراكب والممرات الضيقة ونحوها، فينبغي

(١) (صحيح) أخرجه (ق) وصححه الألباني في ص.ج ٥٨٢٧.
(٢) (صحيح) أخرجه (ك هب) وصححه الألباني في ص.ج ١١٧٠.
(٣) (صحيح)أخرجه (حم هب) وصححه الألباني في ص.ج ٣٧٦٧.
(٤) (صحيح) أخرجه (د ت) وصححه الألباني في ص.ج ٣٥٤٥.
(٥) (حسن) أخرجه (أبو الشيخ في الثواب) وحسنه الألباني في ص.ج ٣٣٥٨.

على ولي الأمر أن يقي نسائه من كل هذه المحاذير.

١٤ - أن يمنع نساءه من الخلوة والسفر بغير محرم أو أن يدخل عليهم رجل وليس معهم محرم، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ وَلَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا رَجُلٌ إِلَّا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ [١].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ تُسَافِرُ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ عَلَيْهَا [٢].

١٥ - أن يختار الأب لابنته صاحب الدين والخلق ولا يغفل عن التكافئ الاجتماعي والثقافي، فإن صاحب الدين والخلق إن عاش معها أكرمها وإن لم يكتب لهما دوام العشرة لم يظلمها، ويحذر من تكليف الزوج النفقات الباهظة فلا بد من التيسير على الشباب، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ» [٣].

١٦ - أن يوصي الأب ابنه بما أوصي به رسول الله بأن يتزوج ذات الدين فإن لم يستطع فعليه بالصيام فإنه دأب الصالحين وهو وقاية من المعاصي كأن يعوده صيام يومي الاثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ» [٤].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٤٩٣٥.
(٢) (صحيح) أخرجه (م) ١٣٣٩.
(٣) (حسن) أخرجه (ت ه ك) وصححه الألباني في ص.ج ٢٧٠.
(٤) (صحيح) أخرجه (ق د ن ه) وصححه الألباني في ص.ج ٣٠٠٣.

الدرس السابع والثلاثون:

هدي رسول الله ﷺ

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع رسول الله ﷺ حين خرج من مكة إلى الطائف، ماشيًا على قدميه جيئة وذهابا، ومعه مولاه زيد بن حارثة، فلما انتهى إلى الطائف توجه إلى ثلاثة إخوة من رؤساء ثقيف، وهم عبد ياليل ومسعود وحبيب أبناء عمرو بن عمير الثقفي، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله، وإلى نصرة الإسلام، فقال أحدهم: هو يَمْرُط ثياب الكعبة - أي يمزقها - إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أما وَجَدَ الله أحدًا غيرك، وقال الثالث: والله لا أكلمك أبدًا، إن كنت رسولاً لأنت أعظم خطرًا من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي أن أكلمك. فقام عنهم رسول الله ﷺ وقال لهم: «إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني»، وأقام رسول الله ﷺ بين أهل الطائف عشرة أيام، لا يدع أحدًا من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا: اخرج من بلادنا. وأغروا به سفهاءهم، فلما أراد الخروج تبعه سفهاؤهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، فوقفوا له سِمَاطَيْن - أي صفين - وجعلوا يرمونه بالحجارة، وبكلمات من السفه، ورجموا عراقيبه، حتى اختضب نعلاه بالدماء. وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه شِجَاج في رأسه، ولم يزل به السفهاء كذلك حتى ألجأوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة على ثلاثة أميال من الطائف، فلما التجأ إليه رجعوا عنه، وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ

أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً» [1] (٢٦).

أخي الحبيب، هذا هو رسول الله ﷺ الذي رفض ان ينتقم من قومه، فلقد جبله الله عز وجل على كريم الخلال، فكان قبل النبوة أرقى قومه، بل أرقى البشرية في زكاء نفسه، وسلامة فطرته، وحسن خلقه، نشأ يتيماً شريفاً، وشب فقيراً عفيفاً، ثم تزوج محباً لزوجته مخلصاً لها.

لم يتولَّ هو ولا والده شيئاً من أعمال قريش في دينها ولا دنياها، ولا كان يعبد عبادتهم، ولا يحضر سمرهم، ولا ندواتهم، ولم يؤثر عنه قول ولا عمل يدل على حب الرياسة، أو التطلع إليها.

كان يُعرفُ بالتزام الصدق، والأمانة، وعلو الآداب؛ فبذلك كان له المقام الأرفع قبل النبوة؛ حتى لقبوه بالأمين، حتى أتاه الوحي من رب العالمين

بل وكان رسول الله ﷺ أميا لا يقرأ ولا يكتب: فهذا من أعظم المهيئات والدلائل على صدق نبوته.

ولقد كان النبي ﷺ أكرم الخلق أخلاقا، وقد خاطبه ربه تبارك وتعالى بقوله له: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم:٤]، ولقد أدبه ربه، فأحسن تأديبه، فكان خلقه القرآن الكريم، يتأدبُ به، ويؤدب الناس به، وكان لا يرد إلا طَيِّبا ولا يضحك إلا مبتسما، وكان كلامه يفهمه كل من سمعه، وكان لا يرد الطِيب – أي العطر- ولا اللبن ولا الوسادة. وكان كثير شعر اللحية فقد كان يطلق لحيته ويحف شاربه، وكانت وسادته التي ينام عليها من أدم - أي جلد - حشوها ليف. وكان في حاجة أهله يقم المنزل ويخيط ثوبه ويخصف نعله، وكان يبيت الليالي المتتالية طاويا وأهله لا يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير، وكان لا يسأله أَحَدٌ إلا أعطاه فقد كان

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٠٥٩ و(م)١٧٩٥.

أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان.

وكان أبغض الخلق إليه الكذب، وكان إذا اطلع على أحد من أهل بيته كذب كذبة لم يزل معرضا عنه حتى يحدث توبة، وكان لا يغضب لنفسه ولكن يغضب إذا انتهكت محارم الله ﷻ.

وكان يجيب دعوة أي أحد، ويقبل الهدية ولو قَلَّت، ويكافئ عليها.

وكان يعود المرضى، ويشهد الجنائز، ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس.

وكان أشد الناس تواضعا، وكان يلبس ما وجد، فمرة شملة، ومرة جبة صوف، فما وجد من المباح لبس، ويركب ما أمكنه، مرة فرساً، ومرة بعيراً، ومرة بغلة شهباء، ومرة حماراً، أو يمشي راجلاً حافياً.

وكان يجالس الفقراء، ويؤاكل المساكين، وكان لا يحتقر مسكيناً لفقره وزمانته، ولا يهاب ملكاً لملكه، يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء مستوياً، وكان يكرم أهل الفضل في أخلاقهم، ويتألف أهل الشرف في البر لهم، ويصل ذوي الرحم من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم، وما كان يأتيه أحد إلا قام معه في حاجته، ولم يكن فظّاً، ولا غليظاً، ولا صخاباً في الأسواق، وما كان يجزي السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح.

وكان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام، ومن قادمه لحاجة صابره حتى يكون القادم هو المنصرف.

وكان لا يجفو على أحد، يقبل معذرة المعتذر إليه، يمزح ولا يقول إلا حقاً، يضحك من غير قهقهة، ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه؛ لأنه كان يجلس حيث انتهى به المجلس، وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليس بينه وبينه قرابة يجلسه عليه، وكان يعطي من جلس إليه نصيبه من وجهه، وسمعه، وحديثه، ولطيف محاسنه، وتوجيهه، وكان أبعد الناس غضباً، وأسرعهم رضاً، وكان أرأف الناس بالناس، وكان يحب اليسر، ويكره العسر، ولا يشافه أحداً بما يكره، ومن رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، وكان يتفاءل ولا يتشاءم ويحب الاسم الحسن، وكان إذا أتاه الأمر يَسُرُّهُ قال: الحمد لله الذي بنعمته تتم

الصالحات، وإذا أتاه أمر يكره قال: الحمد لله على كل حال، وكان يحب التيامن ما استطاع في طهوره وتنعله وترجله وفي شأنه كله.

وكان إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر، ويقول: السلام عليكم، السلام عليكم.

وكان إذا قرب طعام قال: بسم الله فإذا فرغ قال: أطعمت وأقنيت وهديت وأحييت فلك الحمد على ما أعطيت، وإذا شرب يشرب على ثلاث مرات وكان لا يشرب من فم السقاء وكان لا يتنفس في الإناء.

وكان إذا دخل الخلاء قال: اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث وإذا خرج قال: غفرانك.

وكان إذا إفتتح الصلاة قال: سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك.

وكان لايدع صيام أيام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر في سفر ولا حضر، وكان يكثر من صيام يومي الاثنين والخميس، وكان إذا أفطر قال: ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله.

وكان يجتهد في العبادة في العشر الأواخر من رمضان ما لايجتهد في غيرها، وكان إذا أفطر عند قوم قال: أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وتنزلت عليكم الملائكة. وكان يقول قبل موته بخمسة أيام: وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك، وكانت وصية رسول الله ﷺ وهو يغرغر بنفسه: الصلاة وما ملكت أيمانكم، أي يقصد الوصية بالصلاة والنساء.

فهلا عملنا بهذا الهدي النبوي المبارك وعلمناه أولادنا حتى ينبتهم الله جل وعلا نباتا حسنا ويجمعنا بهم في مستقر رحمته، قال تعالى :{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ} [الطور : ٢١].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

الدرس الثامن والثلاثون:
الاستئذان الشرعي

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد..

أحبتي في الله، نحن على موعد مع عمر بن الخطاب ﷺ عندما سأل أَبَا موسى الأشعرى ﷺ أن يأتي بالبينة، لرجوعه عندما استأذن على عمر ﷺ ثلاث مرات ولم يأذن له، أخرج البخاري في صحيحه عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ أَنَّ أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ ﷺ اسْتَأْذَنَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ وَكَأَنَّهُ كَانَ مَشْغُولاً فَرَجَعَ أَبُو مُوسَى، فَفَرَغَ عُمَرُ فَقَالَ: أَلَمْ أَسْمَعْ صَوْتَ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ؟ ائْذَنُوا لَهُ. قِيلَ: قَدْ رَجَعَ فَدَعَاهُ، فَقَالَ: كُنَّا نُؤْمَرُ بِذَلِكَ فَقَالَ: تَأْتِينِي عَلَى ذَلِكَ بِالْبَيِّنَةِ، فَانْطَلَقَ إِلَى مَجْلِسِ الأَنْصَارِ فَسَأَلَهُمْ فَقَالُوا: لاَ يَشْهَدُ لَكَ عَلَى هَذَا إِلاَّ أَصْغَرُنَا أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ [1].

وأخرج البخاري أيضا عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الأَنْصَارِ إِذْ جَاءَ أَبُو مُوسَى كَأَنَّهُ مَذْعُورٌ فَقَالَ: اسْتَأْذَنْتُ عَلَى عُمَرَ ثَلاَثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ؟ قُلْتُ اسْتَأْذَنْتُ ثَلاَثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلاَثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ» فَقَالَ: وَاللَّهِ لَتُقِيمَنَّ عَلَيْهِ بِبَيِّنَةٍ أَمِنْكُمْ أَحَدٌ سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: وَاللَّهِ لاَ يَقُومُ مَعَكَ إِلاَّ أَصْغَرُ الْقَوْمِ فَكُنْتُ أَصْغَرَ الْقَوْمِ فَقُمْتُ مَعَهُ فَأَخْبَرْتُ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ ذَلِكَ، فَقَالَ عُمَرُ ﷺ : أَخَفِيَ هَذَا عَلَيَّ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَلْهَانِي الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ يَعْنِي الْخُرُوجَ إِلَى التِجَارة [2].

---

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ١٩٥٦.
(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٥٨٩١.

معاشر الإخوة، لقد شرع الله ♣ الاستئذان لعدة أغراض منها:

١ – لتجنب أن يقع البصر على العورات داخل البيوت.

٢ - حتى لا يطَّلع على الأسرار التي لا يحب أصحاب البيت أن يعرفها أحد.

٣ - لتجنب سوء الظن في الداخل فالدخول خفية يدل على الشر.

ولقد اتفق جمهور الفقهاء على أنه لابد قبل الدخول من الاستئذان والسلام معا غير أنهما ليسا بمرتبة واحدة فالاستئذان واجب، والسلام مستحب.

وأخرج البخاري في صحيحه عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ: اطَّلَعَ رَجُلٌ مِنْ جُحْرٍ فِي حُجَرِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِدْرًى يَحُكُّ بِهِ رَأْسَهُ فَقَالَ: «لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُ لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ إِنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ» (١).

فعندما رأى النبي عليه الصلاة والسلام رجلاً ينظر من نافذة حجرته وكان بيده آلة حادة، فقال له رسول الله ﷺ ما معناه: لو رأيتك وأنت تنظر لطعنت بها في عينك ولا دية لك، إنما جعل الاستئذان من أجل البصر، فإذا دخل البصر فلا إذن، لم جعل الاستئذان؟ حتى لا يقع بصرك على عورات الناس، فإذا دخل البصر فما قيمة الإذن، ما قيمة أن تنظر وتتسمع كلام الناس ثم تدق الباب؟! إنما جعل الاستئذان من أجل ألا يسبق بصرك إلى عورات الناس، ولذلك قال ما معناه: لو رأيتك لطعنت بها في عينك ولا دية لك - أي لو رأيت رجلاً ينظر في بيتك بغير إذنك فطعنته في عينه فذهبت فلا دية له - إنما جعل الاستئذان من أجل البصر، هذا هو الأصل.

لكن هب أنك سمعت صراخاً في بيت الجار واستغاثة، أو رأيت حريقاً أو أي شيء ضار، فالاستئذان لا يسع في هذا، ولكن ادخل، وهذا خروج عن الأصل للضرورة (٥٥).

معاشر الإخوة، إن الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف لا تهاج فيه

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٥٨٨٧.

الشهوات في كل لحظة ولا تستثار فيه هذه الأمور المحرمة، وجعل الله الاستئذان إجراءً احتياطياً وأمراً احترازياً من أجل عدم النظر إلى العورات، ولذلك فإن رسول الله ﷺ كان إذا جاء باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر وذلك لأن الدور لم يكن عليها ستور وحتى لو كان لها أبواب فإن الباب إذا فتح فجأة قد يقع النظر على شيء من عورات أهل البيت، ولذلك يكون من طرف الباب الذي إذا فتح لم يقع النظر على شيء ولا يواجه الباب مباشرة، فهو إجراء احترازي من أجل عدم وقوع البصر على الحرام.

كما أن الاستئذان يكون حتى داخل البيوت، وقد علمنا الله في كتابه أن نؤدب أولادنا بألا نجعلهم يداهمون غرفة نوم الأبوين مداهمة وإنما لابد من الاستئذان في الأوقات التي يغلب فيها كشف العورة{ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ} [النور:٥٨]، وحتى المحارم في البيوت، الأم في حجرتها والأخت في غرفتها لابد من الاستئذان عليهن قبل الدخول، فقد أخرج البخاري في الأدب المفرد عن نافع: كان ابن عمر إذا بلغ بعض ولده الحلم لم يدخله عليه إلا بإذن (٦٤).

فدخول البيوت دون استئذان من أهلها - مما ينافي الأدب ومكارم الأخلاق، ومما يوجب الريبة من الداخل، ويدعو لإساءة الظن به، واتهامه باستراق الحديث وتتبع العورات.ولذلك أدبنا الله تبارك وتعالى بأن نستأذن إذا أردنا دخول بيوت غير بيوتنا، قال تعالى:{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(٢٧) فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَالله بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ(٢٨) لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَالله يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ(٢٩)} [النور:٢٧ - ٢٩].

وقال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاء ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله

لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(٥٨) وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(٥٩)} [النور: ٥٨ - ٥٩].

المعنى: يا أيها الذين آمنوا مُروا عبيدكم وإماءكم، والأطفال الأحرار دون سن الاحتلام أن يستأذنوا عند الدخول عليكم في أوقات عوراتكم الثلاثة: من قبل صلاة الفجر؛ لأنه وقت الخروج من ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة، ووقت خلع الثياب للقيلولة في الظهيرة، ومن بعد صلاة العشاء؛ لأنه وقت للنوم، وهذه الأوقات الثلاثة عورات لكم، يقل فيها التستر، أما فيما سواها فلا حرج إذا دخلوا بغير إذن؛ لحاجتهم في الدخول عليكم، طوافون عليكم للخدمة، وكما بيَّن الله لكم أحكام الاستئذان يبيِّن لكم آياته وأحكامه وحججه وشرائع دينه. والله عليم بما يصلح خلقه، حكيم في تدبيره أمورهم.وإذا بلغ الأطفال منكم سن الاحتلام والتكليف بالأحكام الشرعية، فعليهم أن يستأذنوا إذا أرادوا الدخول في كل الأوقات كما يستأذن الكبار، وكما يبيِّن الله آداب الاستئذان يبيِّن الله تعالى لكم آياته. والله عليم بما يصلح عباده، حكيم في تشريعه.

إخوتي في الله، للاستئذان آداب نذكر منها:

١- أن يقول المستأذن اسمه إذا سئل عن اسمه ولا يقول: أنا.

٢- أن يسلم قبل الاستئذان فيقول: السلام عليكم أأدخل؟ قال تعالى: {فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(٦١)} [النور: ٦١].

٣- ألا يستقبل باب من يستأذنه ولكن يتنحى يمينا أو يسارا حتى لا تقع عيناه على أحد العورات، فَعَنْ جَابِرٍ ﷺ يَقُولُ، أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي دَيْنٍ كَانَ عَلَى أَبِي فَدَقَقْتُ الْبَابَ فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ فَقُلْتُ: أَنَا فَقَالَ: «أَنَا أَنَا كَأَنَّهُ كَرِهَهَا»(١). فهلا فقهنا آداب الاستئذان الشرعي وعملنا بها وعلمناه أولادنا حتى ينبتهم الله جل وعلا نباتا حسنا.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٥٨٩٦، و(م) ٢١٥٥.

* * *

الدرس التاسع والثلاثون:
وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ﷺ

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة الإمام مالك بن أنس مع أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور قال القاضي عياض في كتاب (ترتيب المدارك وتقريب المسالك): ناظر أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور الإمام مالك في مسجد النبي ﷺ فرفع أبو جعفر صوته، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في المسجد، إن الله تعالى أدب قوما فقال{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢)} [الحجرات: ٢]، ومدح قوما فقال:{إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ الله أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ الله قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣)} [الحجرات: ٣]، وذم قوما فقال:{إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ(٤)} [الحجرات: ٤] وإن حرمته ميتا كحرمته حيا، فاستكان أبو جعفر المنصور.

وقال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ الله وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله سَمِيعٌ عَلِيمٌ(١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ(٢)} [الحجرات: ١ - ٢].

وقد نهى الله تعالى في هذه الآيات عن ثلاثة أمور: عن التقدم بين يديه ﷺ بما لا يأذن به من الكلام والآراء والأحكام، وعن رفع الصوت بحضرته، وعن الجفاء في مخاطبته ومحاورته.

كما أمر بتعظيمه ﷺ وتوقيره وخفض الصوت بحضرته وعند مخاطبته، والتزام توجيهاته وأوامره، وبما أن حرمة النبي ﷺ حيا كحرمته ميتا، وكلامه المسموع منه مباشرة ككلامه المروي عنه بعد موته في الرفعة والإلزام، فقد وجب على كل من يسمع حديثه وسنته وهديه ألا يرفع صوته عليه أو يُعرِضَ عنه؛ لأن رفع الصوت والجهر به في حضرته ﷺ أو عند تلاوة سنته دليل على قلة الاحتشام وترك الاحترام، ثم عقب سبحانه على هذا التوجيه بقوله:{إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣)} [الحجرات: ٣].

ويستنبط الفقهاء بالقياس من هذا التوجيه القرآني وجوب احترام الوالدين والعلماء وذوي السابقة في الدعوة والجهاد وكبار السن، والرفق بهم وعدم رفع الصوت بين أيديهم، والاستحياء بحضرتهم، مما تؤكده نصوص كثيرة لا يتسع المجال لها حاليا (٦٩).

إخوتي في الله، عندما ناظر ابن القيم رحمه الله تعالى أحد هؤلاء ممن يأتيه الحديث الصحيح فيرده لأن فلاناً قال كذا، فقال له: أرأيت لو أن رسول الله ﷺ حيٌّ الآن يخاطبنا بأمرٍ وقال: افعلوا كذا ولا تفعلوا كذا، أكنت تأتمر بأمره ﷺ أو تقول: أَعْرِضُ هذا الأمر على قول فلان، أو هذا الأمر يخالف ما قاله فلان من الناس؟ قال: بل أمتثل وأبادر تواً وفوراً، قال: فما الفرق؟ فإذا كان ﷺ قد لحق بالرفيق الأعلى فسنته وأمره بعد وفاته كأمره في حياته ﷺ، فلا بد من التأدب مع رسول الله ﷺ بالتأدب مع سنته كما كان التأدب مع شخصه ﷺ في حياته، بألا يقدم أحد بين يدي الله ورسوله، ولا يرفع صوته فوق صوت رسول الله ﷺ، فكذلك يجب أن يتأدب معه بعد وفاته ﷺ بألا يرفع رأياً فوق سنته ﷺ أ.هـ.

ولقد أخبرنا الله جل وعلا بما كان من اليهود من سوء أدب مع رسول الله ﷺ وحذرنا من أن نحذو حذوهم فقال:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ(١٠٤)} [البقرة: ١٠٤].

فلقد كان اليهود يقولون لرسول الله ﷺ راعنا، أي: راعنا سمعك، فافهم عنا وأفهمنا؛ يلوون ألسنتهم بها، ويقصدون سبَّه ونسبته إلى

الرعونة، فنهى الله ♣ المؤمنين بألا يحذوا حذو اليهود، وحذر الله تعالى المؤمنين من إيذاء رسول الله، كما آذى بنو إسرائيل موسي عليه السلام فقال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللهِ وَجِيهاً(٦٩)} [الأحزاب: ٦٩]، وفي هذه الآية تحذير للمؤمنين أن يبتدعوا في الدين، أو يشرعوا ما لم يأذن به الله.

ومن علامات محبة رسول الله ﷺ لزوم الأدب معه قال تعالى:{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (٨) لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٩)} [الفتح: ٨ - ٩]، فالتسبيح لله ♣ والتعزير والتوقير لرسول الله فلا يكون لي رأيٌ إذا قال رسول الله ﷺ، ولا نتكلم عنه إلا بتعظيم رسول الله بما يلائم، ومن أفضل الثناء عليه كثرة الصلاة عليه، وإذا سمعنا من يحدث بأحاديثه رسول الله فلنعطها حسن الإصغاء والاستماع، ومن علامات توقير رسول الله توقير أزواجه أمهات المؤمنين وصحابته الكرام وأهل بيته رضوان الله عليهم جميعا وكذا حسن الأدب مع العلماء فالعلماء هم ورثة الأنبياء، فعن أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ عَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ لَمْ يَرِثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرِثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»(١).

أخي الحبيب، من الأدب مع النبي ﷺ التسليم له والانقياد لأمره، وتصديق خبره، وتلقيه بالقبول، وعدم معارضته، ولا يُقدم بين يدي رسول الله ﷺ شيئاً، ولا يُدَّعي نسخ سُنته، وكذلك لا تُرفع الأصوات فوق صوته ﷺ لأن ذلك سبب لحبوط العمل، وبعد وفاته ﷺ لا ترفع الأصوات فوق حديثه إذا قُرئ ولا عند قبره.

ويجب الحذر من الاستهزاء بسنة رسول الله ﷺ وذلك بالاستهزاء بمن عمل بالسنة كمن أرخى لحيته وقص شاربه ومن قصر ثوبه إلى أعلى الكعبين ومن لازم العلماء العاملين لأن ذلك يفضي للكفر، قال تعالى:{وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ(٦٥) لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} [التوبة: ٦٥ - ٦٦].

(١) (صحيح) أخرجه (حم ٤ حب) وصححه الألباني في ص.ج ٦٢٩٧.

أو من الاستهزاء بالأخوات اللاتي يرتدين الحجاب الشرعي واللاتي يحافظن على حِلَق الذكر والعلم في المساجد، فإن هذا من الجهل بالدين فاحتجاب المرأة المسلمة عن الرجال الأجانب أمر واجب، دل على وجوبه كتاب الله ♣ وسنة نبينا محمد ﷺ، أخرج البخاري في المعلقات عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: يَرْحَمُ الله نِسَاءَ الْمُهَاجِرَاتِ الأُولَ لَمَّا أَنْزَلَ الله: {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} [النور: ٣١]، شَقَّقْنَ مُرُوطَهُنَّ - أي جمع مرط أيَ المِلَاءةَ - فَاخْتَمَرْنَ بِهَا، والخُمُر جمع خمار وهو غطاء الرأس. والجيوب جمع جيب وهو شق الثوب من ناحية الرأس والمراد ما يظهر منه الصدر، والمقصود يسترن الرؤوس والأعناق والصدور عن الرجال.

أخي في الله، كل شيء تمزح فيه إلا الدين؛ لأن الدين له حصانة، والذين يمثلون الدين هم العلماء، والدعاة، والملتزمون؛ ولهم حصانة، وإذا استهزأت بهم استهزأت بالله؛ لأن هذا الرجل ما استهزأ بالله، بل استهزأ بالرسول وأصحابه، ولكن الله سبحانه جعل هنا الاستهزاء به وقال: {قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} [التوبة:٦٥] رغم أن الرجل ما قال شيئاً في الله، بل قال في الرسول وأصحابه فقط، فجعلها الله سبحانه استهزاءً به.

فلما تهزأ باللحية، فأنت لا تهزأ بالشخص الذي أطلقها، بل تستهزئ بالنبي ﷺ الذي أمر بها؛ لأن هذه سنة النبي ﷺ، وعندما تهزأ من رجل قصر ثوبه واتبع السنة، فأنت لا تستهزئ بالرجل، ولكن تستهزئ بالذي أمره بهذه السنة، ولذلك انتبه يا أخي! عليك أن تقف عند حدك فيما يتعلق بشيء من ذلك، فلا تستهزئ بالأئمة، ولا بالمؤذنين، ولا بالدعاة، ولا بالقضاة، ولا بالعلماء، ولا بأي شيء فيه دين الله، حتى إن بعض الناس عندهم نكت، يأتون بها على بعض الآيات، أو الأحاديث، أو الأئمة، لا للنكت ابحث لها عن مكان آخر؛ لأن دين الله حق، ولا يقبل الاستهزاء ولا السخرية (٦٦).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

obeikandl.com

الدرس الأربعون:
التوبـة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة توبة مالك بن دينار حيث قال عندما سئل عن سبب توبته: كنت شرطيا وكنت منهمكا على شرب الخمر، ثم إنني اشتريت جارية نفيسة ووقعت مني أحسن موقع فولدت لي بنتا فشغفت بها فلما دبت على الأرض ازدادت في قلبي حبا وألفتني وألفتها قال: فكنت إذا وضعت المسكر بين يدي جاءت إلي وجاذبتني عليه وهرقته من ثوبي، فلما تم لها سنتان ماتت فأكمدني حزنها، فلما كانت ليلة النصف من شعبان وكانت ليلة الجمعة بت ثملا من الخمر، ولم أصل فيها عشاء الآخرة، فرأيت فيما يرى النائم كأن القيامة قد قامت ونفخ في الصور، وبعثرت القبور وحشر الخلائق وأنا معهم، فسمعت حسا من ورائي فالتفت فإذا أنا بتنين أعظم ما يكون أسود أزرق قد فتح فاه مسرعا نحوي، فمررت بين يديه هاربا فزعا مرعوبا فمررت في طريقي بشيخ نقي الثوب طيب الرائحة، فسلمت عليه فرد السلام فقلت: أيها الشيخ أجرني من هذا التنين أجارك الله، فبكى الشيخ وقال لي: أنا ضعيف وهذا أقوى مني وما أقدر عليه ولكن مر وأسرع، فلعل الله أن يتيح لك ما ينجيك منه، فوليت هاربا على وجهي فصعدت على شرف من شرف القيامة، فأشرفت على طبقات النيران فنظرت إلى هولها وكدت أهوي فيها من فزع التنين، فصاح بي صائح ارجع فلست من أهلها فاطمأننت إلى قوله: ورجعت ورجع التنين في طلبي، فأتيت الشيخ فقلت: يا شيخ سألتك أن تجيرني من هذا التنين فلم تفعل، فبكى الشيخ وقال: أنا ضعيف، ولكن سر إلى هذا الجبل، فإن فيه ودائع المسلمين فإن كان لك فيه وديعة فستنصرك قال: فنظرت إلى جبل مستدير من فضة وفيه كوى مخرمة

وستور معلقة على كل خوخة وكوة مصراعان من الذهب الأحمر مفصلة باليواقيت مكوكبة بالدر على كل مصراع ستر من الحرير، فلما نظرت إلى الجبل وليت إليه هاربا والتنين من ورائي حتى إذا قربت منه صاح بعض الملائكة ارفعوا الستور وافتحوا المصاريع - أي الأبواب - وأشرفوا فلعل لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه فإذا الستور قد رفعت والمصاريع قد فتحت فأشرف عليَّ من تلك المخرمات أطفال بوجوه كالأقمار، وقرب التنين مني فتحيرت في أمري، فصاح بعض الأطفال ويحكم أشرفوا كلكم فقد قرب منه عدوه، فأشرفوا فوجا بعد فوج وإذا أنا بابنتي التي ماتت قد أشرفت علي معهم، فلما رأتني بكت وقالت: أبي والله، ثم وثبت في كفة من نور كَرمية السهم، حتى مثلت بين يدي فمدت يدها الشمال إلى يدي اليمنى، فتعلقت بها ومدت يدها اليمنى إلى التنين فولى هاربا ثم أجلستني وقعدت في حجري وضربت بيدها اليمنى إلى لحيتي، وقالت يا أبت:{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ} [الحديد:١٦]، فبكيت، وقلت: يا بنية وأنتم تعرفون القرآن فقالت: يا أبت نحن أعرف به منكم قلت: فأخبريني عن التنين الذي أراد أن يهلكني قالت: ذلك عملك السوء قويته فأراد أن يغرقك في نار جهنم، قلت: فأخبريني عن الشيخ الذي مررت به في طريقي قالت: يا أبت ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء، قلت: يا بنية، وما تصنعون في هذا الجبل قالت: نحن أطفال المسلمين قد أسكنا فيه إلى أن تقوم الساعة ننتظركم تقدمون علينا فنشفع لكم، قال مالك: فانتبهت فزعا وأصبحت فأرقت المسكر وكسرت الآنية، وتبت إلى الله ♣ وهذا كان سبب توبتي (٤٩).

و لقد أنزل الله تعالى قرآناً يتلى إلى يوم القيامة للحث على التوبة منها قول الله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [التحريم:٨].

وقول الله تعالى:{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر:٥٣].

إخوتي في الله، قد يعرف البعض حرمة ما يقع فيه، ولكنه يؤجل التوبة أو يسوف فيها، فمنهم من يؤخرها إلى ما بعد الزواج، أو التخرج، ومنهم من يؤجلها ريثما تتقدم به السن، إلى غير ذلك من دواعي التأجيل، وهذا خطأ عظيم، فالتوبة واجبة على الفور، فأوامر الله ورسوله ﷺ على الفور ما لم يقم دليل على جواز تأخيرها بل تأخيرها ذنب يجب أن يستغفر منه.

وبعض الشباب يرغب في التوبة، ولكنه لا يبادر إليها، مخافة أن يعاود الذنب مرة أخرى، وهذا خطأ، فعلى العبد أن يتوب إلى الله، فلربما أدركه الأجل وهو لم ينقض توبته. كما عليه أن يحسن ظنه بربه جل وعلا وأن يستحضر أنه إذا أقبل على الله أقبل الله عليه، وأنه تعالى عند ظن عبده به، فعن أبي هريرة ﷺ قال قال النبي ﷺ: «قال الله ♣ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي» [1]، ثم إنَّ على التائب إذا عاد إلى الذنب أن يجدد التوبة مرة أخرى وهكذا، والذي يعين على عدم العودة للذنب تغير الصحبة والبيئة.

وبعض الناس يغفل عن التوبة مما لا يعلمه من ذنوبه، وهذه من الأخطاء التي تقع في باب التوبة، والتي قل من يتفطن لها، فهناك ذنوب خفية، وهناك ذنوب يجهل العبد أنها ذنوب، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: ولا ينجي من هذا إلا توبة عامة مما يعلم من ذنوبه ومما لا يعلم من ذنوبه، فإن ما لا يعلمه العبد من ذنوبه أكثر مما يعلمه، ولا ينفعه في عدم المؤاخذة بها جهله إذا كان متمكناً من العلم، فإنه عاصٍ بترك العلم والعمل، فالمعصية في حقه أشد.

وبعض الناس تحدثه نفسه بالتوبة، ولزوم الاستقامة، ولكنه يخشى لمز وعيب بعض الناس له، وهذا خطأ فادح، إذ كيف يُقَدم خوف الناس على خوف رب الناس؟، أضف إلى ذلك أن الإنسان سيذهب إلى قبره وحيداً، وسيحشر إلى ربه فرداً، فماذا سينفعه فلان أو فلان ممن يثبطونه؟.

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٦٧٥.

معاشر الإخوة، قد يترك بعض الناس التوبة؛ مخافة سقوط المنزلة وذهاب الجاه والشهرة، ولا ريب أن ذلك نقص في ديانة الإنسان، وشجاعته، ومروءته، وعقله، ثم إن الشهرة والجاه عرض زائل، وينتهي بنهاية الإنسان؛ ولن ينفعه إذا هو قدم على ربه إلا ما قدم من صالح عمله، ثم إنه إذا ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، والعوض من الله أنواع مختلفة، وأجل ما يُعَوَّض به أن يأنس بالله، وأن يرزق محبته ♣ وطمأنينة القلب بذكره، ومما يعوضه الله أن يرزقه أصحاباً أبراراً يجد عندهم من المتعة والفائدة ما لا يجده عند أصحابه السابقين، وبعض الناس من يتمادى في الذنوب ويسرف في المعاصي، فإذا زُجِرَ وَلِيمَ على ذلك قال: إن الله غفور رحيم، كما قال أحدهم، ولا ريب أن هذا الصنيع سفه، وجهل، وغرور، فرحمة الله قريب من المحسنين لا من المسيئين، ثم إن الله ♣ مع عفوه شديد العقاب ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين.

قال تعالى:{نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ (٥٠)} [الحجر٤٩ - ٥٠]، وحسن الظن ينفع من تاب، وندم وأقلع، وبدل السيئة بالحسنة، واستقبل بقية عمره بالخير والطاعة، ثم حَسَّن الظن بعدها؛ فهذا هو حسن الظن، والأول غرور، والله المستعان.

فما هذا الذي هم فيه من النعيم إلا استدراج، وإهمال، وإملاء من الله ♣ حتى إذا أخذهم أخذهم أخذ عزيز مقتدر، قال رسول الله ﷺ :«إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ:«{وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود:١٠٢] (١)، إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنْ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ ثُمَّ تَلاَ:{فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ} [الأنعام:٤٤] » (٢) (٦٠).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٤٤٩٠، و(م) ٢٥٨٣.
(٢) (صحيح) أخرجه (حم) وصححه الألباني في س.ص ٤١٣.

الدرس الحادي والأربعون:
خلق: شكر نعم الله تعالى

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَقِيَ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ بِأَسْفَلِ بَلْدَحٍ - أي واد في طريق التنعيم إلى مكة - قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الْوَحْيُ فَقُدِّمَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ سُفْرَةٌ - أي طعام يتخذه المسافر وأكثر ما يحمل في جلد مستدير ولذلك أصبح يطلق لفظ سفرة على ما يوضع فيه الطعام أو عليه - فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا ثُمَّ قَالَ زَيْدٌ: إِنِّي لَسْتُ آكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ عَلَى أَنْصَابِكُمْ - أي جمع نصب وهو كل ما نصب وعظم من دون الله ♣ وقيل هي حجارة كانت حول الكعبة يذبحون عليها للأصنام - وَلاَ آكُلُ إِلاَّ مَا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ، وَأَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو كَانَ يَعِيبُ عَلَى قُرَيْشٍ ذَبَائِحَهُمْ وَيَقُولُ: الشَّاةُ خَلَقَهَا اللهُ، وَأَنْزَلَ لَهَا مِنَ السَّمَاءِ الْمَاءَ وَأَنْبَتَ لَهَا مِنَ الأَرْضِ ثُمَّ تَذْبَحُونَهَا عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللهِ إِنْكَارًا لِذَلِكَ - أي منكرا عليهم فعل ذلك - وَإِعْظَامًا لَهُ - أي لله تعالى خالقها - [1].

وهذا مصداقا لقول الله:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ للهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ(١٧٢)} [البقرة:١٧٢].

ونذكر هنا نموذجا براقاً عن الشكر، فعن هشام بن عروة قال: خرج أبي إلى الوليد بن عبد الملك فوقعت في رجله الأكلة فقال له الوليد: يا أبا عبد الله أرى لك قطعها. قال: فقطعت وإنه لصائم فما تضور وجهه.

قال: ودخل أكبر ولده اصطبله فرفسته دابة فقتلته فما سُمع من أبي في ذلك شيء، حتى قدم المدينة فقال: اللهم إنه كان لي بنون أربعة

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٦١٤.

فأخذت واحداً وأبقيت لي ثلاثة فلك الحمد، وكان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً وأبقيت لي ثلاثة فلك الحمد، وايم الله لئن أخذت فلقد أبقيت ولئن ابتليت طالما عافيت (٣٧).

ويجب أن نتعرف على نعم الله علينا، وألا ننكر هذه النعم، ولنتذكر حال المشركين الذين قال الله فيهم: {يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ} [النحل:٨٣].

ويحكى أن أعرابيا دخل على الرشيد فقال، يا أمير المؤمنين ثبت الله عليك النعم التى أنت فيها بإدامة شكرها، وحقق لك النعم التى ترجوها بحسن الظن به ودوام طاعته، وعرفك النعم التى أنت فيها ولا تعرفها إلا لتشكرها.

وعن مالك بن أنس - إمام دار الهجرة - قال: قال جعفر بن محمد لسفيان الثوري: يا سفيان إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها ودوامها فأكثر من الحمد والشكر عليها فإن الله ♣ قال في كتابه: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ (٧)} [إبراهيم:٧]، وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار فإن الله تعالى قال في كتابه: {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ (١٢)} [نوح:١٢]، يا سفيان إذا حزبك أمر من سلطان أو غيره فأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها مفتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة.

وشُكْر النِّعَم يكون بتسخيرَها في طاعة الله؛ حتى ينال المسلم والمسلمة رضا الله، والشكر هو الثناء على المنعم بما أولاك من معروف وذلك بالقلب واللسان والجوارح، فشكر القلب باستشعار النعمة وأنها من عندالله قال تعالى: {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (٥٣)} [النحل:٥٣]، وشكر اللسان بحمد الله ♣ والتحدث بنعمه كما قال تعالى: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)} [الضحى:١١]، وشكر الجوارح باستعمال النعمة في طاعة الله ♣ كما قال الله تعالى: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ(١٣)} [سبأ:١٣].

وهذا سليمان عليه الصلاة والسلام لما رأى نعم الله عليه من الملك، وفهم لغة الطير، وحوار النملة مع أمة النمل سأل ربه سبحانه أن يلهمه شكر نعمته عليه؛ قال الله ﷻ :{فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} [النمل:١٩].

وقال الله عز وجل عن دعاء الولد المؤمن البار بوالديه:{حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [الأحقاف: ١٥].

وأرشد رسول الله ﷺ معاذ بن جبل ﷺ أن يدعو في دبر كل صلاة بهذا الدعاء: «اللهمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»(١).

معاشر الإخوة، النعم التى وهبها الله لعباده لا تقدر بمال، والله سبحانه وتعالى سوف يسألنا جميعا عن هذه النعم يوم القيامة، ولكن من كرم الله تعالى أن التحدث بالنعمة شكر وشكر النعمة من جنس النعمة كأن يحفظ الرجل بصره عن الحرام ويستعمله في التفكر في خلق السماوات والأرض، وكذا شكر من أسدل إليك معروفا، فَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ التَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللهِ شُكْرٌ وَتَرْكُهَا كُفْرٌ وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ»(٢).

وشكر النعم بمقابلة الإحسان بالإحسان، والمعروف بالمعروف، فمن لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق، وشكر النعمة يكون بالثناء على المنعم ويكون بالقلب بالامتنان لصاحب النعمة والتحدث باللسان عن النعمة واستعمال الجوارح في طاعة الله ﷻ، قال تعالى:{وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)} [الضحى:١١].

وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَقَالَ:

(١) (صحيح) أخرجه (د ن ابن خزيمة حب ك) وصححه الألباني في صت ١٥٩٦.
(٢) (حسن صحيح) أخرجه (حم) وقال الألباني صت ٩٧٦ حسن صحيح.

الْحَمْدُ لله إِلَّا كَانَ الَّذِي أَعْطَاهُ أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ» [١].

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ الله يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ» [٢].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «إِذَا رَأَى أَحَدكُمْ مُبْتَلَى فَقَالَ: الْحَمْدُ لله الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاَكَ بِهِ وَفَضَّلَنِي عَلَيْكَ وَعَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ تَفْضِيلا، كَانَ شُكْرَ تِلْكَ النِّعْمَة» [٣].

الاخوة الفضلاء، للشكر ثلاث فوائد وهي:

١ - رضا الواحد الأحد، فإذا رضي الله عنك أسعدك في الدارين.

٢ - كفاية السؤال في الآخرة (سؤال التوبيخ)، أما سؤال التقرير فلا بد منه.

قال تعالى: {ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ} [التكاثر:٨] قال بعض العلماء: والله لتسألن عن الماء البارد، فكيف بمن أخذ الدور والأموال، وكفر بنعم الله؟.

٣ - يُدْعَى لك بخير، فإن الشاكرين يُدْعَى لهم ممن يحسنون إليهم في ظهر الغيب، ومما يكتسب العبد دعاء الإخوة والخلان (٥٧).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (صحيح) أخرجه (ه) وصححه الألباني في ص.ج ٥٥٦٣.
(٢) (حسن) أخرجه (ت ك) وحسنه الألباني في ص.ج ١٨٨٧.
(٣) (حسن) أخرجه (هب) وحسنه الألباني في ص.ج ٥٥٥.

الدرس الثاني والأربعون:
بر الوالدين وصلة الأرحام

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع أويس بن عامر، وهو من المخضرمين، آمن برسول الله في عصره ولم يلقَ رسول الله ﷺ.

أخرج مسلم في صحيحه عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ، فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: مِنْ مُرَادٍ؟ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ، مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ، إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ»، فَاسْتَغْفِرْ لِي، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ، قَالَ: أَلاَ أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ، قَالَ: فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَوَافَقَ عُمَرَ فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ، قَالَ: تَرَكْتُهُ رَثَّ الْبَيْتِ قَلِيلَ الْمَتَاعِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لأَبَرَّهُ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ»، فَأَتَى أُوَيْسًا، فَقَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ فَاسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي قَالَ:أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ فَاسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: لَقِيتَ عُمَرَ، قَالَ: نَعَمْ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ، قَالَ أُسَيْرٌ: وَكَسَوْتُهُ بُرْدَةً فَكَانَ كُلَّمَا رَآهُ إِنْسَانٌ قَالَ مِنْ أَيْنَ لأُوَيْسٍ هَذِهِ الْبُرْدَةُ؟

(١).

لقد أمرنا الله تعالى ببر الوالدين في قوله:{وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى (٣٦)} [النساء:٣٦]، لأن أولى الناس ببرِّك وعطفك هم أقاربك، وأقرب الناس للإنسان والداه، فهما السبب في وجوده؛ ولذلك أمر الله بالإحسان إليهما في مواضع متعددة، وقرن حقهما بحقه سبحانه في مواطن من القرآن، ثم بعد ذلك الأقارب على حسب قربهم، فكل من قرب عظم حقه، فَعَنْ طَارِقٍ الْمُحَارِبِيِّ قَالَ: قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ النَّاسَ وَهُوَ يَقُولُ: «يَدُ الْمُعْطِي الْعُلْيَا، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، أُمَّكَ وَأَبَاكَ وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ»(٢).

أخي الحبيب، كان رسول الله ﷺ أرق الناس، وأعفهم، وأوصلهم، وأحلمهم؛ ولذلك ذكر الله خُلُقَه، وذكر مناقبه في القرآن، فقال:{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم:٤] وقال له:{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران:١٥٩].

فلقد بلغ في صلة الرحم مبلغاً عظيماً، ضرب به المثل على مرِّ التاريخ، فما سمعت الدنيا بأوصل منه ﷺ لقرابته - أبناء عمه وأقاربه -، فأخرجوه من مكة، وطاردوه وشتموه وسبوه وآذوه، حاربوه في المعارك، ونازلوه في الميدان، وقاموا بحرب عسكرية وإعلامية واقتصادية ضده، فلما انتصر ماذا فعل؟ فلما انتصر عفا عنهم وسامحهم.

فَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الصَّلاَةُ لِوَقْتِهَا، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ، ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»(٣).

وقال تعالى:{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ} [محمد:٢٢]، وقال تعالى:{أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ} [محمد:٢٣] (٦٣).

إن العقوقَ مأساة وجدت في المجتمعات، وانتشرت في البيوت،

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٥٤٢.
(٢) (صحيح) أخرجه (ن) وصححه الألباني في ص.ج ٨٠٦٧.
(٣) (صحيح) أخرجه (خ) ٧٠٩٦.

وأصبحت أكبر المشكلات على الآباء، رأينا ورأى غيرنا الآباء الذين طعنوا في السن وأصابتهم الشيخوخة، وهم يتباكون ويتضرعون ويتوجعون لهذه الذرية الظالمة العاتية، ويكفي أن نعلم أن عقوق الوالدين وقطع الرحم من الذنوب التى يعجل الله لصاحبها العقوبة في الدنيا قبل الآخرة.

أخرج أحمد في مسنده وأبو داود في سننه وغيرهما عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ الله تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِثْلُ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ»(١).

فهل من عودة يا شباب الإسلام إلى الله؟ وهل من عطف وحنان؟ وهل من خفض جناح؟ وهل من بر ومودة مع الآباء والأمهات؟

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ»(٢)، فالأم لها ثلاثة أرباع الحق، فهي التي تعبت وحملت، وأرضعت وغسلت، وألحفت وأدفأت، فجزى الله آباءنا وأمهاتنا خير الجزاء، وسقاهم الله من الحوض المورود شربة لا يظمؤون بعدها أبداً (٦٣).

وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ - أي إن الذي يصل غيره مكافأة له على ما قدم من صلة مقابلة لَه بمثل - وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا - أي إذا قاطعه غيره قابله بالصلة -»(٣).

معاشر الإخوة، لبر الوالدين فوائد عديدة نذكر منها (١٩):

أولاً: هو من أسباب إجابة الدعاء، وأنتم تذكرون قصة أصحاب الغار، وكيف أن أحدهم كان له أبوان شيخان كبيران يسعى عليهما، وقدمهما على أولاده، وهم يتضاغون عند قدميه طيلة الليل، حتى استيقظ

(١) (صحيح) أخرجه (حم خد د ت هـ حب ك) وصححه الألباني في ص.ج ٥٧٠٤.
(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٥٦٢٦، و(م) ٢٥٤٨.
(٣) (صحيح)أخرجه (خ) ٥٦٤٥.

والداه فشربا قبل أولاده، ففرج الله شيئاً من الصخرة بسبب هذا.

ثانيـاً: بـر الوالـدين يكفـر الكبـائر، والـدليل علـى ذلـك الحـديث الـذي أخرجه الترمذي بسند صحيح عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ، أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنِّي أَصَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا فَهَلْ لِي تَوْبَةٌ؟ قَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟» قَالَ: لاَ قَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ؟» قَالَ: نَعَمْ قَالَ: «فَبِرَّهَا» (١).

ثالثاً: بر الوالدين سبب البركة وزيادة الرزق، أوليس هو من صلة الرحم؟! فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ - أي يوسع - لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ - أي يؤخر - فِي أَثَرِهِ - أي في بقية عمره -، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ - أي فليبر بأقاربه - » (٢).

فالحديث يدل على أن صلة الرحم سبب في توسيع الرزق وزيادته وكثرة طرق الخير وأبوابه، وزيادة في العمر وطول الأجل، ومن أوكد وألزم صلة الرحم بر الوالدين، فبرهما سبب لبسط الرزق وزيادتـه، وطول العمـر وامتـداده، وعقوقهما سبب لقلة الرزق وضيق المعيشة، وقصر الأجل.

رابعاً: من بر أباه وأمه؛ بره أبناؤه، ومن عقهما؛ عقه أولاده، وهكذا.

خامساً: رضا الله في رضا الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين، فلقد أمر الله ♣ بالإحسان للوالدين حال كبرهما فقال سبحانه: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً} [الإسراء:٢٣].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (صحيح) أخرجه (ت) وصححه الألباني في صت ٢٥٠٤.
(٢) (صحيح)أخرجه (خ) ١٩٦١و(م) ٢٥٥٧.

الدرس الثالث والأربعون:
حق الأخوة في الله

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع أروع ما ذكر في الإيثار، وهي قصة إيثار سعد بن الربيع الأنصاري لعبد الرحمن بن عوف ﷺ، فلقد أخرج البخاري عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ - من المهاجرين -، وَآخَى رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ - من الأنصار -، وَكَانَ كَثِيرَ الْمَالِ، فَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ عَلِمَتْ الأَنْصَارُ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالاً سَأَقْسِمُ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَطْرَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَأُطَلِّقُهَا، حَتَّى إِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ الله لَكَ فِي أَهْلِكَ، فَلَمْ يَرْجِعْ يَوْمَئِذٍ حَتَّى أَفْضَلَ شَيْئًا مِنْ سَمْنٍ وَأَقِطٍ فَلَمْ يَلْبَثْ إِلاَّ يَسِيرًا، حَتَّى جَاءَ رَسُولَ الله ﷺ وَعَلَيْهِ وَضَرٌ مِنْ صُفْرَةٍ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «مَهْيَمْ؟» قَالَ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنْ الأَنْصَارِ فَقَالَ: «مَا سُقْتَ إِلَيْهَا» قَالَ: وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ: أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ[1].

ويصدق هذه الأخوة قول الله تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر:٩].

والأخوة نوعان: أخوة النسب والدم، وأخوة العقيدة، قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ (١٠)} [الحجرات:١٠].

وهناك عدة وسائل لتعميق الأخوة في الله - أي أخوة العقيدة - نذكر منها:

---

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ١٩٤٣

١ - أن يخبر أخاه أنه يحبه في الله.

٢ - طلاقة الوجه عند لقاء أخيه المسلم، ومسارعة الأخ بمصافحة أخيه.

٤ - أن يدعو الله لأخيه بظهر الغيب.

٥ - مشاركة الأخ إخوانه في الأحزان والأفراح فيقف بجوار أخاه ليواسيه في الأحزان وليهنئه في الأفراح.

٦ - الهدية سبيل للمحبة لقول رسول الله ﷺ: «تَهَادُوا تَحَابُّوا»[(١)].

٧ - إفشاء السلام سبيل للمحبة، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[(٢)].

٨ - الزهد فيما عند أخيه المسلم، فَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي الله وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ الله وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ»[(٣)].

٩ - أن يبر قسم أخيه إذا أقسم طالما أمكن ذلك إن كان ما يريده ليس فيه حرمة شرعية وليس فيه تَعَدٍّ يبر قسمه ويفعل ما أقسم عليه.

١٠ - يشفع ويتوسط لأخيه طالما أن هذه الشفاعة لا تضر بآخر، فَعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَيَقْضِي الله عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ»[(٤)].

١١ - الإصلاح بين إخوانه المتخاصمين وحتى لو استلزم الأمر إلى الكذب، فليس الكذاب الذي يصلح ذات البين بين المتخاصمين فالمؤمنون اخوة قال تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا الله لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)} [الحجرات:١٠] (٢٢).

---

(١) (حسن) أخرجه (ع) وحسنه الألباني في ص.ج ٣٠٠٤.

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٥٤.

(٣) (صحيح) أخرجه (هـ طب ك هب) وصححه الألباني في ص.ج ٩٢٢ واللفظ لابن ماجه.

(٤) (صحيح) أخرجه (خ) ١٣٦٥.

معاشر الإخوة، هناك حقوق متعددة للأخوة في الله منها:

الحق الأول: الحب في الله والبغض في الله، فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ : عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لله وَأَبْغَضَ لله وَأَعْطَى لله وَمَنَعَ لله فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ» (١).

الحق الثاني: لا يحمل الأخ لأخيه غلاً ولا حسداً فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ : أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ» (٢).

الحق الثالث: طهارة القلب والنفس، فَعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ الله أَيُّ الإسلام أَفْضَلُ؟ قَالَ: مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» (٣)

الحق الرابع: الإعانة على قضاء حوائج الدنيا على قدر استطاعتك، واسمع إلى هذا الحديث الذى تتلألأ منه أنوار النبوة: من حديث ابْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّ رَجُلا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى الله؟ وَأَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى الله؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى الله تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى الله تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ الله عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ الله قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ الله قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامِ» (٤).

الحق الخامس: بذل النصيحة بصدق وأمانة، فَعَنْ تميم الدارى ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ: الدِّينُ النَّصِيحَةُ». قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لله وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» (٥).

---

(١) (حسن صحيح) أخرجه (د) وقال الألباني في صت ٣٠٢٩ حسن صحيح.
(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٥٧١٨، و(م) ٢٥٥٩.
(٣) (صحيح) أخرجه (خ) ١١، و(م) ٤٢.
(٤) (صحيح) أخرجه (طب ابن عساكر) وحسنه الألباني في س.ص ٩٠٦.
(٥) (صحيح) أخرجه (م) ٥٥.

قال الشافعي رحمه الله تعالى : من نصح أخاه بين الناس فقد شانه، ومن نصح أخاه فيما بينه وبينه فقد ستره وزانه، والذى بُذِلَ له النصيحة عليه أن يحسن الظن بأخيه الناصح، ورحم الله من قال: رحم الله من أهدى إليَّ عيوبي.

الحق السادس: التناصر، فَعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: «تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ» (١).

فيوصيك رسول الله أن تنصر أخاك في كل الأحوال، إن كان ظالماً خذ بيده عن الظلم، وإن كان مظلوماً فانصره، ولو بكلمة، وإن عجزت فبقلبك، وهذا أضعف الإيمان.

الحق السابع: أن تستر عيب أخيك وتغفر له زلاته، وهذا من أعظم الحقوق: فالأخ ليس مَلَكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً، فإن زل الأخ فاستر عليه، فَعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ الله عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ الله عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ» (٢).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٣١٢.
(٢) (صحيح) أخرجه (حم د) وصححه الألباني في ص.ج ٧٩٨٤.

obeikandl.com

الدرس الرابع والأربعون:

خلق الصدق

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، نحن على موعد مع قصة تخلف كعب بن مالك ﷺ عن غزوة تبوك أخرجها البخاري ومسلم في صحيحيهما وهذا ملخصها: قال كعب بن مالك ﷺ : وَغَزَا رَسُولُ الله ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلاَلُ - أي نضجت الثمار - وَتَجَهَّزَ رَسُولُ الله ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ فَطَفِقْتُ - أي أخذت وشرعت - أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا.. فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ، فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي ذَلِكَ، فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ الله ﷺ فَطُفْتُ فِيهِمْ أَحْزَنَنِي أَنِّي لاَ أَرَى إِلاَّ رَجُلاً مَغْمُوصًا عَلَيْهِ النِّفَاقُ أَوْ رَجُلاً مِمَّنْ عَذَرَ الله مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ: مَا فَعَلَ كَعْبٌ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ الله، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ - أي منعه من الخروج إعجابه بنفسه ولباسه وبرداه مثنى برد وهو الكساء، وعطفاه مثنى عطف وهو الجانب - فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ الله مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلاَّ خَيْرًا فَسَكَتَ رَسُولُ الله ﷺ، قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ تَوَجَّهَ قَافِلاً - أي راجعا إلى المدينة - حَضَرَنِي هَمِّي وَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا؟. وَأَصْبَحَ رَسُولُ الله ﷺ قَادِمًا.. فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ - أي الذين تخلفوا عن رسول الله في غزوة تبوك - فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلاً، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ الله ﷺ عَلاَنِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى الله، فَجِئْتُهُ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَ»، فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: «مَا خَلَّفَكَ أَلَمْ

تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟» فَقُلْتُ: بَلَى، إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلاً وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللهِ، لاَ وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلاَ أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ»... فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونِي - أي قبيلته - حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي أَحَدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ..مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ، وَهِلاَلُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهِمَا أُسْوَةٌ، فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي وَنَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلاَمِنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ وَتَغَيَّرُوا لَنَا، حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ..قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبَطِيٌّ - أي فلاح - مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّأْمِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا - أي خطابا - مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلاَ مَضْيَعَةٍ فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِنْ الْبَلاَءِ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا - أي قصدت بها الفرن فأشعلته به - حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنْ الْخَمْسِينَ إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَأْتِينِي فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ.. فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ حَتَّى كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ كَلاَمِنَا، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلاَةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ.. يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ، أَبْشِرْ.. وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: {لَقَد تَّابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ

عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ(١١٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)} [التوبة:١١٧ - ١١٩].

أخي الحبيب، الصدق يشمل: الصدق في النية بأن تكون خالصة لله، والصدق في الأقوال والصدق في الأعمال، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والصدق أساس الحسنات وجماعها، والكذب أساس السيئات ونظامها.

والصدق في الأعمال وهو أن يصدق العبد أقواله بأعماله وأفعاله قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ(٢) كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ(٣)} [الصف:٣].

فقد تجد الرجل يحدث الحديث الكذب ليضحك الآخرين فتغدو في الآفاق وتنتشر، ولقد حذر رسول الله من ذلك، فَعَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ» (١).

وللصدق فضائل كثيرة، منها:

أولاً: أنه سبب للطمأنينة، فَعَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ» (٢).

ثانياً: هو الفارق بين المؤمن والمنافق، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ» (٣).

ثالثاً: لا ينفع يوم القيامة إلا الصدق، قال تعالى:{قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [المائدة:١١٩].

رابعاً: الصدق أصل كل بر، ومجاهدة النفس على تحري الصدق

(١) (حسن) أخرجه (حم د ت ك) وصححه الألباني في ص.ج ٧١٣٦.
(٢) (صحيح) أخرجه (حم ت حب) وصححه الألباني في ص.ج ٣٣٧٨.
(٣) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٣و(م) ٥٩.

توصلها إلى مرتبة الصديقية، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا» (١).

معاشر الإخوة، هناك بعض الأمور التى يجب الاشارة إليها: فمن سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه، والصدق في البيع والشراء سبب للبركة، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ» (٢).

والكذب له أضراره وعواقبه، ولقد حارب النبي ﷺ الكذب محاربة شديدة، فعن عائشة ﷺ قَالَتْ:كَانَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - إِذَا اطَّلَعَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ بَيتِهِ كَذَبَ كَذبةً، لَمْ يَزَلْ مُعْرِضاً عَنْهُ حَتَّى يُحْدِثَ تَوبَةً (٣).

فهؤلاء الذين يروجون الإشاعات، ويختلقون الأخبار، لا شك أن عذابهم في البرزخ أليم، وعذابهم يوم القيامة أشد ألماً وأنكى وأخزى (٦٤).

والكذب جائز في ثلاثة أمور، فَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ ﷺ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «لَا يَحِلُّ الْكَذِبُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: يُحَدِّثُ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ لِيُرْضِيَهَا، وَالْكَذِبُ فِي الْحَرْبِ، وَالْكَذِبُ لِيُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ» (٤).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (صحيح) أخرجه (ق) وصححه الألباني في ص.ج ١٦٦٥.
(٢) (حسن صحيح) أخرجه (ت) وقال الألباني في س.ص ١٧٨٢ حسن صحيح.
(٣) (صحيح) أخرجه (حم ك) وصححه الألباني في ص.ج ٨٨٠٤.
(٤) (حسن) أخرجه (ت) وحسنه الألباني في ص.ج ٧٧٢٣.